شمس المرأة لا تغيب

للدكتور آية الله الكرباسي



إعداد
سهام القزويني

بيت العلم للنابهين
بيروت - لبنان


بسم الله الرحمن الرحيم



شمس المرأة لا تغيب

للعلامة المحقق الشيخ

محمد صادق الكرباسي

إعداد

سهام القزويني

بيت العلم للنابهين

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

بيت العلم للنابهين

ص. ب ٥٧٣٣ ـ ١٤. المزرعة ـ بيروت ١١٠٥٢٠٧٠ لبنان ـ هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

مقدمة الناشر

المرأة نصف المجتمع.. وأرادها البعض كل المجتمع.. بحجة تحرير المرأة.. فحرروها من حجابها.. وسترها.. وإنسانيتها.. وكرامتها.. حتى غدت أمةً تُشترى وتُباع.. وسلعة تعرض على شاشات التلفاز..

وأرادها الإسلام إنسانةً مصانة الكرامة.. محفوظة الهيبة.. عليها مسحة الوقار.. أختاً.. وبنتاً.. وزوجة صالحة.. وأماً مربية للأجيال.. وعاملة في المجتمع مع حفظ المكانة والتزام الوقار..

وضرب الاسلام أمثلة كثيرة للمرأة المسلمة النقية من دون الجاهلية.. وعبوديتها.

فتلكم السيدة الكبرى خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ التي ناصرته وأيّدته وساندته بالموقف والمال، في وقت عز الناصر والصديق والمؤيد..

وتلكم السيدة الزهراء عليها السلام أم أبيها الرسول، وزوج الوصي علي عليه السلام.. وأم الأئمة الأطهار عليهم السلام صاحبة المواقف الجريئة التي لا تُنسى.

وتلكم السيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام وزيرة الاعلام والثقافة والارشاد والتبليغ في كربلاء وما بعد كربلاء في قصر الامارة في الكوفة.. وفي قصر يزيد في الشام.. حيث قارعتهما بالكلمة والموقف الجريء المنطلق من الاسلام.. وأحقية أهل البيت عليهم السلام.. والتي قادت مسيرة السبايا.. ورعتهم برعايتها وصانتهم طيلة فترة السبي حتى العودة إلى المدينة.. فحفظت بحفظها للسبايا وبموقفها الواضح الجريء نهج الاسلام.. وكتب السيرة والتاريخ دونت مواقفها وكلماتها بأحرفٍ من نور.

هكذا هي المرأة في الاسلام.. لم تكن كما يدّعي البعض زوراً أنها كانت حجراً عليها مهملة مغلوباً عليها أمرها..

فالمرأة في الإسلام ريحانة وليست بقهرمانة كما قال علي عليه السلام ولأننا بصدد كتابة مقدمة مختصرة نكتفي بهذا القدر إذ أن الكتاب الذي بين يديك أيها القارىء الكريم وأيتها القارئة الكريمة كافٍ وافٍ في شرح كل شيء عن

المرأة.. من نشأة المرأة.. إلى الحجاب، إلى المرأة والتعليم.. إلى المرأة والعمل... إلى الكثير من المواضيع.

وهذا الكتاب هو المقدمة التمهيدية للقسم الخاص بالنساء من معجم الانصار من دائرة المعارف الحسينية الكبرى اقتطعتها الكاتبة الكريمة السيدة سهام القزويني لما رأته فيها من أهمية كبرى تفيد المرأة والمجتمع الاسلامي بعد أن قامت بالتعليق عليها وقدمت لها.

ونحن بدورنا مساهمة منا في إيصال هذه المقدمة إلى شريحة أكبر من القارئات والقراء قمنا بطباعته آملين أن يحقق الغاية المرجوة منه. والله من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين..

٤/ جمادى الأولى/ ١٤٢٥هـ

٢٢/ حزيران/ ٢٠٠٤م



تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد والثناء لله رب العالمين وأزكى الصلوات والتحيات على أشرف الخلائق الرسول الأعظم ﷺ وعلى آله المعصومين المطهرين.

رغم أن القسم الخاص بالنساء اللواتي حضرن كربلاء الكرامة مع أبي الأحرار الإمام الحسين بن علي عليه السلام من معجم الأنصار، من دائرة المعارف الحسينية لازال مخطوطاً، إلا أن السيدة الجليلة العلوية سهام القزويني حفظها الله تعالى من المكاره، عندما تعرفت على هذا الحقل، ارتأت بأن موضوع المقدمة التمهيدية التي قدمتها لهذا الفصل هي بمثابة مرهم ناجح للجرح الذي أصاب جسد الأمة من خلال طعنات أعداء الاسلام حول المرأة في ظل النظام الاسلامي.

فقد طلبت أن أزودها بالمخطوطة لتقتطع منها المقدمة لطباعتها مستقلة، حيث وجدت فيها مقومات الاستقلال، فلبيت طلبها، مرحباً بالفكرة، راجيا الله تعالى أن يسد بذلك جانبا من جوانب الطعن بالاسلام ونظامه، وأسأله جل شأنه أن يوفقنا جميعا لما فيه مرضاته، انه تعالى سميع مجيب.

محمد صادق محمد الكرباسي
لندن ـ المملكة المتحدة
٥/١/١٤٢٥ هـ
٢٦/٢/٢٠٠٤ م

المقدمة

شكلت النهضة الحسينية مصدرا هاما لنهضة الفكر الاسلامي منذ أن جعل الامام الحسين عليه السلام نفسه قربانا كما قالت العقيلة الطاهرة زينب بنت علي عليه السلام «اللهم تقبل منا هذا القربان» وهي تضع يديها الطاهرتين تحت جسد أخيها الشهيد الامام الحسين عليه السلام مقدمة اياه للحق سبحانه، فكانت سلام الله عليها ورضوانه مثالا للمرأة الصابرة المجاهدة في جنب الله، وإذا كانت المرأة ساهمت بنفسها على حركة التاريخ وليس باعتبارها زوجة وأماً وأختاً وابنة فحسب، بل باعتبارها إحدى أسباب استمرار الجنس البشري الى جنب الرجل، فانها كانت تمثل أيضا قيما إنسانية فاعلة.

ولما كان التاريخ عبر حركته شهد استهانة بحق المرأة وامتهانا لكرامتها وحقها في الحياة والوجود، فإن العقيدة الاسلامية قد حررت المرأة من رق العبودية والذل، وأكد على شراكتها للرجل في بناء الحياة والأسرة كنواة لتطوير

الحضارة الانسانية. فها هو القرآن العظيم يشركها في درب الصلاح والتقوى مع أخيها الرجل وصولا الى مغفرته تعالى شأنه. ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ظهرت المرأة في بعض مراحل التاريخ ملكة وحاكمة، لكنها لم تأخذ حقها في امتلاك كرامتها الانسانية إلا في رحاب الاسلام العظيم، والعلامة المحقق الشيخ الكرباسي في بحثه الدؤوب لاستكمال كل ما يرتبط بالامام الحسين عليه السلام وثورته المباركة وتداعياتها، لما وجد أن المرأة كانت مثيلة الرجل في الحياة وشريكته في استمرار البناء الاجتماعي بصفته العقائدية فإنها بالتأكيد قد شاركت وتركت أثرها العميق في بناء الثورة الحسينية وما ترتب عليها من نتائج استمرت عبر حركة التاريخ والى عصرنا الحاضر، خصص بها عدد من الأجزاء في موسوعته المباركة.

ومن هنا فان التفاعل الموضوعي مع الشكل التاريخي

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٥.

والحضاري للثورة الحسينية المباركة لا يتكامل إلا من خلال الدراسة الموضوعية لكل عوامل ومفردات هذا الفعل التاريخي والذي شكلت المرأة أحد أوضح عناصره حتى وان لم تحمل السيف أو تنزل الى ساحة الوغى، فقد كانت العقيلة زينب سلام الله عليها والهاشميات اللواتي حضرن أرض كربلاء مصادر فاعلة في الفعل الجهادي الذي تكلل بقافلة الشهداء، فاذا كان الصبر والاحتساب الى الله أحد أفعال الجهاد في سبيل الحق، فان مواقف العقيلة الطاهرة والهاشميات أثناء وبعد الواقعة كان يمثل استمرارا بالعمل النهضوي الذي قاده الامام الشهيد.

ومن خلال قراءتي للمجلد الأول من قسم النساء من معجم الأنصار من دائرة المعارف الحسينية للشيخ محمد صادق الكرباسي حفظه الله، شعرت أني أطوف بتاريخ المرأة عبر العصور، وصولا الى وجودها الفاعل في الثورة الحسينية المباركة.

لقد حاول المؤلف الكرباسي ان يكون موسوعيا كما هو شأنه، وها هو يلقي نظرة على آراء وأفكار وبحوث فلاسفة ومفكرين من الجنسين تناولوا موضوع المرأة محللا ومستفيدا من هذه وتلك في تدعيم بحثه غير ناسيا ربط كل هذه

الأفكار والآراء بفكرة موضوعه الأساس، باعتبار انه يدرس النساء من خلال الفكر الحسيني وهو يسوق الأدلة والبراهين من مصادرها استكمالا لمنهجه البحثي، حيث يقول سماحته في تمهيده لهذا الفصل: «قد يكون هذا حلقة من حلقات معجم الأنصار، وربما يكون فصلا من فصوله، أو بابا مستقلا، ولكن له علاقة بالهاشميين من جهة وبغير الهاشميين من جهة أخرى، بحيث انتزع منهما شخصيات أنثوية ليعطى حقها حسب شأنها وتكرم كرامة مميزة، ويلقي عليها الضوء باستقلالية، ومن هنا فقد ضم هذا الكتاب الهاشميات مع غير الهاشميات ممن حضرن كربلاء وكانت لهن مشاركة في الحركة التصحيحية التي قادها الامام الحسين عليه السلام من خلال نهضته المباركة عام واحد وستين للهجرة.

وما هذا الفصل إلا لأن للمرأة خصوصيتها ومميزاتها التي تختلف بها عن الرجل، وهذا لا يعني تفضيل أحد الجنسين على الآخر، بل الحديث عن المميزات والخصوصيات، فإنك لو تحدثت مثلا عن الليمون والتفاح أو عن القرنفل والياسمين وميزت بينهما لا يعني أنك فضلت أحدهما على الاخر، بل ترم بذلك الى بيان خصوصيات كل واحد منهما دون تفضيل، والتفضيل ربما يكون بسبب بعض الخصوصيات الملائمة مع هذا الموقع دون غيره أو بالعكس،

فيكون الأفضل بهذا الموقع دون ذاك، وهكذا إذا فلا تفضيل مطلقا ولا ترجيح أبدا».

وما قراءاتي في هذا السفر الجليل من الموسوعة الحسينية المباركة إلا خطوة في درب الامام الحسين عليه السلام الذي ملأت ثورته أسماع الدنيا.

ومن أهمية دور المرأة في جميع مجالات الحياة ومنزلة المؤمنات منهن عند الله سبحانه وتعالى، أنه أنزل في حقها سورة عنونها باسمها، وتحدث عنها وبيّن أحكامها وخصوصياتها، كما كرمها الاسلام حيث شرّع في الحج والعمرة السعي بين الصفا والمروة اقتداءً بالسيدة هاجر أم النبي إسماعيل عليه السلام، الى موارد أخرى. ورغم كل ذلك فقد بخسوا حقها وتجنوا على الشريعة المحمدية وتقولوا عليها بما يدنس كرامتها ويقلل من شأنها، فوجدت نفسي أمام حق ضائع وشريحة ظلمت، فجاءني التوفيق يقصدني لأن أرفع تلك الظلامة وأحقّ الحق الضائع وذلك حين طرح عليّ شريك حياتي أن أطالع أحد أجزاء الموسوعة الحسينية العملاقة لأجد فيها بحثا شيقا عن المرأة كمقدمة لإحدى فصول الموسوعة ألا وهو قسم المرأة من معجم الأنصار، وعندها وقع اختياري أن أشارك مع المشاركين في الدفاع عن حقوق هذه الرياحين المزروعة بين الأشواك والمحجوبة عن

نور الشمس، وعندما فكرت في الأمر مليا وجدت أن في هذه المقدمة الشريفة التي خطتها يد المحقق القدير العلامة الكرباسي ما يشفي الغليل ويثلج الصدر، إلا أنها ترتبط بمسلسل الأجزاء التي يصعب على الجميع اقتنائها، وبما أن فصلها كان ممكنا لأن فيها ما يرتبط بالمرأة بشكل عام، لذلك قمت باستمزاج قداسته لفصل هذه المقدمة في كتيب يمكن أن تصل الى أكبر عدد من القراء، ليطلعوا على حقيقة نصف البشرية المضطهدة من قبل أبناء الشرق قبل الغرب، فتلقيت التشجيع من قبل سماحته، فكان الذي بين يديك.

نسأل الله تعالى شأنه أن يوفقنا وصاحب هذه الموسوعة لكل خير وصلاح، والسير على درب أبي الشهداء وأخته العقيلة الطاهرة سلام الله عليهما، وما توفيقي الا بالله.

المعدّة سهام القزويني
٢٨/٩/١٤٢٤هـ
٢٣/ ١١/٢٠٠٣م
المملكة المتحدة ـ لندن

شأن المرأة

هذا الموضوع شائك ومترامي الاطراف وعميق يصعب الغوص فيه من خلال صفحات، ولذلك علينا أن نوجز الكلام عنه بما يعنينا ويهمنا مع رسم صورة سريعة عن الفارق بين حقيقة الانثى والواقع المعاش.

ولا يخفى أن الانثى كانت مضطهدة في الجاهلية الاولى[1] بحيث كانت تدفن وهي على قيد الحياة خوف العار والشنار، وجاء الاسلام ليرفع عنها الظلم ويحررها من العبودية التي كانت تعيشها في ظل الانظمة اللاانسانية وتبرزها على جميع الاصعدة كإنسانة لها حقوقها وعليها واجباتها، مراعيا في ذلك بنيتها الجسمية «الفسيولوجية» والنفسية

---

(١) الجاهلية الأولى: تطلق على العهد ما بين غياب النبي عيسى عليه السلام وبعثة الرسول الأكرم ﷺ وما قولهم بالأولى إلا وله مفهوم يدلنا على وجود جاهلية ثانية، بل المقصود الجاهلية السابقة، وما استخدام المؤلف مقولة الجاهلية الثانية فيما سيأتي إلا فذلكة منه في تشخيص الحالة الاجتماعية المريضة ووضع النقاط على الحروف المعدّة.

«السيكولوجية» فأصبحت تلك الريحانة تساهم بشكل فاعل في الحياة البشرية في شتى مجالاتها، وتقودها نحو الخير والصلاح، وقد شاركت الجنس الاخر بنّاءة في وضع أسس هذه الحياة بأسلوب حضاري مميز، بدءا من الحياة الزوجية التي هي في الواقع وكذا في الحقيقة مشاركة جادة من كلا الجنسين لمواصلة الحياة المقدسة وبناء الجيل الجديد، وانتهاءً بكل الخيوط التي تتشعب من تلك المشاركة الفاعلة التي لا يمكن فصلها وتمييزها بين الجنسين اللذين هما ناموس الحياة ليس في الجنس البشري فحسب بل في كل جزئيات هذا العالم المترامي الاطراف.

ولكن من المؤسف جدا أن تتغلب العادات والتقاليد من جهة، والروح السلطوية من قبل الجنس الخشن والذي هو بحق اسم على مسمى، فتعانق المصالح لتؤدي الى إعادة أسر المرأة بشكل آخر، وربما كان أسوأ حالا من ذي قبل وبعناوين مختلفة ربما حمّلوا الكثير منها على الدين والمعتقد الاسلامي بالذات من جهة، وباسم التحرير من قبل المحررين أنفسهم من جهة أخرى، وربما زجوا المرأة كأدوات في هذا التراجع المقيت الذي لم يؤد الا الى تحجيم المرأة أو تحميلها اكثر من طاقتها الجسدية والنفسية ليرتاح الطرف الآخر أو ليجني ثمار ذلك بأقل قدر من الخسائر.

ولا داعي الى سرد أو رواية ما قام به الاسلام بعد ما عانته المرأة في ظل الجاهلية الاولى والتي كان الوأد أبرز مظاهرها، والى نقل عينات من بريق الجاهلية الثانية[1] في ظل دعاة التحرير المستورد من الغرب الذي هو أصلا لم يعترف بالمرأة كانسانة الا قبل عقود من الزمن، وقد أدى بهم الى جعلها ومفاتنها سلعة تباع وتشترى لارتفاع رصيد الاثرياء، وظلت المرأة من جهة أخرى بأيدي دعاة الجاهلية الاولى ممن ترسخت فيه تلك المفاهيم في ظل العادات والتقاليد موشحا بوشاح الدين والعقيدة، ولقد بدأ باعادة تلك المفاهيم الموروثة من الجاهلية معاوية بن أبي سفيان وأترابه والتي ظلت آثارها تخيم على مجتمعنا الى هذا اليوم.

وعلى أي حال بقيت المرأة بين مطرقة الجاهلية الثانية وسندان الجاهلية الاولى تعاني الأمرّين، وليس من ينقذها من تلك الاضطهادات المتتالية، ولا خلاص لها الا اذا ما رجعت الى الاسلام الذي حررها أول مرة والرجوع الى تعاليم قادة الاسلام وبناته وحملة افكاره المطهرون من الرجس، بكل ما في النظام الاسلامي من أبعاد، والابتعاد عن المصالح

---

(١) لا تجافي في هذه التسمية إذ الحقيقة أن ما يعرف بالحضارة الغربية إن هي إلا مجموعة من القوانين المادية التي تفتقد الى الجانب الروحي وتدعو لاشباع الغرائز المادية ـ المعدّة.

الشخصية التي لعبت بها الاهواء لتحركها ذات اليمين وذات الشمال.

ونعود لنكرر أن بحث المرأة شائك يحتاج الى دراسة كل الجوانب المتعلقة بها مما لا يمكن أن يستطرد في مثل هذه المقدمة التمهيدية، ولكن ما لا يمكن تجاوزه هي مسائل مفروضة علينا طرحها، نظرا لأهميتها وإثارة الاخرين لها تنقيصا بالعقيدة الاسلامية، وسنورد باختصار شيئا منها في النقاط التالية:

١ ـ بلوغ الانثى.

٢ ـ نقصان العقل.

٣ ـ فرض الحجاب.

٤ ـ الاختلاط.

٥ ـ التعليم.

٦ ـ المرأة والعمل.

٧ ـ ولاية المرأة.

٨ ـ قيمومة الرجل.

٩ ـ تعدد الزوجات.

١٠ ـ الحضانة.

١١ ـ حق الطلاق.

١٢ ـ نصيبها من الارث.

١٣ ـ الحداد.

١٤ ـ إعفائها من القتال.

الى جانب مواضيع اخرى تعتبر ثانوية نستعرضها ان شاء الله تعالى، وهنا لابد من الاشارة الى أمور يجب ان لا ننساها:

١) ان العبرة دائما بالأعم الأغلب، ولا مجال للحديث في أي بحث أو مناقشة علمية الأخذ بالشاذ النادر، أو ببعض الحالات الاستثنائية.

٢) ان التفضيل أمر نسبي، أي أنك تفضل أمرا أو شخصا في هذا المجال أو هذا المكان أو الزمان بدلا عن ذلك.

٣) ان العمل بالاختصاصات أو المميزات ليس تفضيلا، فلو أنك اخترت اللون الازرق في المستشفيات ليس لانه أفضل الالوان بل لانه تبتعد عنه الجراثيم، كما أنك لو شربت الماء البارد في أوانه لا يعني أن الماء البارد هو المفضل دائما ولكل الاستخدامات، بل إن الماء الحار للغسيل في الشتاء القارس هو المختار.

٤) ان الحديث يجب ان يتم بموضوعية دون أي أغراض أخرى، وأن يرفق بالدليل، اذ لا مجال للاعتباط والفرض.

بلوغ الانثى

اشتهر بين الفقهاء أن الانثى تبلغ بانتهاء العام التاسع من عمرها لتستقبل ربيعها العاشر، لتكلف بأوامر الله ونواهيه، وتكون مستقلة في الرأي والعمل وتكون لها كامل الصلاحية في أخذ القرارات والعمل بمقتضاها، ويستدل بقول الامام الصادق عليه السلام: «إذا بلغت الجارية[1] تسع سنين دفع اليها مالها، وجاز أمرها في مالها، واقيمت الحدود التامة لها وعليها»[2].

وهناك روايات ترى غير ذلك، الا انها شاذة لم يعمل بها، وإن أخذ البعض يميل اليها تماشيا مع القوانين الغربية حيث جعل رؤيتها للدم هو دليل بلوغها، وقد حصلنا على رواية واحدة أو روايتين في هذا المجال، وهو المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله - ظاهرا - حيث جاء هكذا: وفي خبر آخر

(١) الجارية: الصبيّة - المعدّة.

(٢) وسائل الشيعة: ١٨/ ١١٤.

«على الصبي إذا احتلم الصيام، وعلى المرأة اذا حاضت الصيام»[١].

ومن الملاحظ ان الغرب قد وضع السنة الثامنة عشر الحد الفاصل بين الطفولة والفتوة ولكنه تنازل مرتين في بعض الدول وربما ثلاث مرات في دول اخرى حيث قالوا: بالسابعة عشر ثم بالسادسة عشر وأخيرا بالخامسة عشر مما يدلنا على ان مواكبة الغرب أصلا لا يصح ان يكون معيارا.

ولقد بحثنا موضوع بلوغ المرأة بالذات فقهيا في مكان آخر ولا مجال لبحثه هنا ثانية[٢]. ولكن الذي نريد طرحه هنا ما يتردد في بعض الاوساط البعيدة عن روح الاسلام: لماذا تظلم الانثى بتحملها المسؤولية وهي صغيرة دون الذكر الذي يبلغ بانتهاء عامه الخامس عشر، وفي الحقيقة كان الجواب

---

(١) وسائل الشيعة: ١/٤٥ عن من لا يحضره الفقيه: ٢/٧٦، فإن صح سند الرواية، دل نصها على المطلوب، ولكن الظاهر أن الاحتلام في الرجال ينبئ عن البلوغ، وكذلك الحيض في النساء، ولكنهما لو تأخرا فان الروايات الصريحة والمتواترة تدل على أن البلوغ يحدد بالعمر، ففي الرجال هو إتمام الخامسة عشر، وفي النساء إتمام التاسعة، وجاء في نيل الاوطار: ٢/٦٧ مرويا عن عائشة: «لا يقبل الله صلاة الحائض إلا بخمار»، وفي الروايتين نظر من حيث السند والدلالة، وعلى فرض صحة السند ففي دلالتها على المطلوب المدعى في تأمل، إذ المتبادر الى الذهن: أن الحيض والاحتلام كاشفان عن البلوغ، إذ لا تحيض المرأة قبل البلوغ، وكذلك الفتى لا يحتلم قبل البلوغ.

(٢) نظن أن المؤلف بحث هذا الموضوع في إحدى أجزاء الحسين والتشريع الاسلامي من موسوعته دائرة المعارف الحسينية ـ المعدّة.

عن هذا يحتاج الى مجال أوسع من الذي نحن فيه، ولكن بايجاز: فإن العلم الحديث قد وصل بعد تجارب مضنية الى ان الانثى تسبق الذكر في تكميل قدراتها الفكرية من جهة وغرائزها البدنية من جهة أخرى، بمعنى آخر أن الانثى في الاغلب الاعم تصل الى سن الرشد قبل الذكر، وأن قابلياتها جسديا تكتمل قبل الرجل، ومن هنا نجد ان الانثى تمر بمراحل التكامل منذ بداية السنة العاشرة حيث ينبت عندها الشعر الخشن على العانة وتحت الابطين ثم يبرز النهدان، وتأتي اخيرا مسألة رؤية الدم، فهذه سنوات ثلاث تؤهلها بعدها للحمل، بينما نجد الذكر في مثل هذا العمر يعبث ويلهو بأفكاره الصبيانية ولن تجد فيه تغييرا ملحوظا نحو الكمال الجنسي حيث يتأخر حتى العام الخامس عشر وما بعده.

وما هذه الأسبقية الا دليل على أنها مقدمة على الذكر في تكوين شخصيتها، ومن هنا فانها بعد النصف الاول من العقد الاول من عمرها تبدأ فيها مميزات الجنسين من حيث نوعية التفكير، ومن حيث الاستيعاب، وقد دلت الاحصاءات بالنسبة الى المدارس الابتدائية

وكذلك في المراحل التالية عليها: أن الفتيات متفوقات على الفتيان بشكل عام، وما هذا إلا أن هناك فوارق عديدة

أودعت في جسم المرأة تجعل نمو قدراتها أسرع من الرجل، وعليه فلا غرابة أنها تكلف قبل الرجل وتتحمل المسؤولية حسب امتلاكها لتلك القدرات، وهذا ملحوظ على كل أنثى.

وما تكليف المرأة في هذا العمر الا تكريم لها حيث جعلها بمستوى البالغين ليؤخذ برأيها في جميع المجالات، وتأخذ مجراها في الحياة نحو الاستقلال، بل من العدالة أن يتعامل معها حسب تلك القدرات التي تمتلكها وأن تجاهل مثل هذه القدرات يعد ظلما وتضييعها لحقها[١].

وكما أن المرأة تسبق الرجل في الكمال فإنها تسبقه في الشيخوخة، ففي الغالب أنها لا تنجب بعد الستين، وأما الرجل فيبقى قادرا على الانجاب، مما يدلنا على اختلاف القدرات في تكوين الجسم، فلا مجال للقول بأن هناك حالة واحدة في كل من الرجل والمرأة، ونسبة الحيف والظلم عليها إنما يصدق إذا لم توضع قوانين خاصة بها كما هو

---

(١) لقد ذكر المؤلف في مكان آخر من موسوعته: إن من حقوق الطفل أن يؤخذ رأيه في الانتخابات، ولكن عبر الولي الصالح، حيث أن الأطفال مواطنون صالحون لهم ما لغيرهم، وكذلك عليهم ما على غيرهم، حسب طاقاتهم، فكما الضرائب وما شاكلها تطبق بحقهم فكذلك لابد من أن يؤخذ برأيهم في الانتخابات عبر أوليائهم، وفي بعض الدول تجد أن الأولياء يعاقبون على جرائم أطفالهم، ومن هنا فان البنت التي دخلت السنة العاشرة من عمرها تكون صاحبة الرأي في مصالحها الخاصة والاجتماعية العامة، وإن احتاجت الى استشارة الولي فهو حق من حقوقها.. هكذا يرى المؤلف ـ المعدّة.

الحال في الرجل، ومن الجدير بالذكر أن الدوائر الغربية في غالبها قدّرت سن التقاعد في المرأة قبل الرجل بخمس سنوات.

نقصان العقل

إن المقولة الشائعة بأن المرأة ناقصة العقل تسربت من بعض الاحاديث الواردة في هذا المضمار، وقد استقطعت من الروايات استقطاعا غير صحيح، دون أن يراعى في ذلك التفاصيل والتفاسير التي وردت في شأنها.

في البداية لابد من الاشارة الى ان الغرائز المودعة في الانسان تختلف من جنس الى آخر فالجنس اللطيف الذي أودعت فيه تلك الغرائز تختلف نسبتها عن التي أودعت في الجنس الخشن، إذ تزيد النسبة تارة في هذا وتارة أخرى في تلك حسب الحاجة والواجبات، وعلى سبيل المثال فإن نسبة العاطفة المودعة في النساء هي أكبر من النسبة المودعة في الرجال، وهذا ما يلاحظ عليها ولا حاجة الى دليل علمي يثبت ذلك، ومع هذا فقد تحدث عنه العلماء بعدما انكشفت لهم الكثير من الحقائق عن الانسان وتكوينه كرجل وامرأة.

ومن هنا فقد أوكل اليها بعض الاعمال والواجبات

المناسبة مع غرائزها وأحاسيسها المرهفة وتكوينها الجسدي، بينما أوكل الى الرجل مهام أخرى يتناسب وغرائزه واحساساته وطبيعة تركيبته الجسدية، ومن هنا لو قيست المرأة بالرجل لوجدناها اكثر عاطفية من الرجل، بينما يلاحظ أن الرجل أكثر عقلانية من المرأة، ولذلك صح القول أن الرجل غير عاطفي والمرأة غير عقلانية بهذا المنظور، ولا يعني بالطبع أن الرجل ليس له عاطفة ولا يتعامل معها، وأن المرأة ليس لها عقل ولا تتعامل معه، بل المراد أن الرجل لا يتعامل مع الأمور التي تحيط به بعاطفته بل يتعامل معها بعقله بشكل عام، وان المرأة تتعامل مع الأمور المحيطة بها بعاطفية شديدة، والحاصل أنهما عاقلان عاطفيان ولكن أحدهما يقدم العاطفة على العقلانية، والآخر يقدم العقلانية على العاطفة، وهذا في الأعم الأغلب.

ولنعد الى الحديث الوارد في هذا المقام حتى لا نبتعد عن الموضوع، فان هناك حديثان أحدهما منسوب الى الرسول ﷺ وهو برواية أمير المؤمنين عليه السلام والذي يقول: «يا أيتها المرأة لانكن ناقصات الدين والعقل»[1]، والثانية مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول: «معاشر الناس

(١) بحار الانوار: ١٠١/٣٠٦ عن تفسير العسكري: ٢٧٦.

إن النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ، نواقص العقول»[١] بغض النظر من أن المجلسي روى الحديث الاول عن تفسير العسكري الذي ذهب البعض الى عدم حجيته للطعن في نسبته الى الامام الحسن العسكري عليه السلام، وروى الحديث الثاني عن نهج البلاغة التي أرسل السيد الرضي روايته، ورغم أنا لنا رأي آخر بالنسبة الى المصدرين حيث نرى بأنهما موثقان حالهما حال سائر المصادر الروائية التي لابد من دراسة كل حديث لوحده فانما أشرنا الى ذلك لان الذين يروجون مثل هذه الاحاديث هم أنفسهم لا يعتمدون على مثل هذه المصادر، ولكن الاهواء اخذت بهم الى قبول ما يناسبهم وترك ما لا يناسبهم.

ولنعد الى نص الروايتين لنقول: إن الذين ينقلون مثل هذه الروايات لا يذكرونها بحذافيرها، وهو كما لو تليت آية الصلاة: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾[٢] دون ان يقرأ ما بعدها: ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾. فبالنسبة الى الرواية الاولى فقد فسّر الرسول صلى الله عليه وآله كلامه بعدها مباشرة حين سألته المرأة التي خاطبها وكانت موفدة بني جنسها حيث تقول الرواية: «اذ جاءت امرأة فوقفت قبالة رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: بأبي أنت

---

(١) بحار الانوار: ٣٢/ ٢٤٧. عن نهج البلاغة: الخطبة ٢٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٣

وامي يا رسول الله، أنا وافدة النساء اليك فما من امرأة يبلغها مسيري هذا اليك إلا سرّها ذلك، يا رسول الله إن الله عزوجل رب الرجال والنساء وخالق ورازق الرجال والنساء، وأن آدم أبو الرجال والنساء، وأن حواء أم الرجال والنساء، وأنك رسول الله الى الرجال والنساء، فما بال المرأتين برجل في الشهادة وفي الميراث؟ فقال رسول الله ﷺ: يا أيتها المرأة، إن ذلك قضاء من ملك عدل حكيم لا يجور ولا يحيف ولا يتحامل، لا ينفعه ما منعكن، يدبر الأمر بعلمه، يا أيتها المرأة لا تكنّ ناقصات الدين والعقل. قالت: يا رسول الله وما نقصان ديننا؟ قال ﷺ: إن إحداكن تقعد نصف دهرها لا تصلي بحيضة عن الصلاة لله، وانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشيرة، وتمكث إحداكن عند الرجل عشر سنين فصاعدا يحسن اليها، ينعم عليها فإذا ضاقت يده أو خاصمها قالت له: ما رأيت فيك خيرا قط، ومن لم يكن من النساء هذا خلقها فالذي يصيبها من هذا النقصان يحثه عليها التصبر فيعظم الله ثوابها فأبشري».

واما بالنسبة الى الرواية الثانية فكمالها بالتالي: «معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فأما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في ايام حيضهن، وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين منهن

كشهادة الرجل الواحد، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف، فاتقوا شرار النساء».

وللحديثين تكملة سبق وذكرناها سابقا وهي حول بعض صفات المرأة وخصوصياتها، والملاحظ من الحديثين بيان واقع الحال من نقصان الدين أريد به أن الصلوات الخمس مفروضة عليها بأقل من الثلث تقريبا[1]، وهذا يعد قلة حظ في العبادة المفروضة، والتي يمكنها تداركها بالجلوس في مصلاها والتعبد لله تعالى بما لا يشترط فيه الطهارة، وهو في الأساس تخفيف عنها لما يصيبها من التعب والإرهاق أيام الدورة الشهرية، بل ان الله سبحانه وتعالى عوّضها عن ذلك بما ورد عن الرسول ﷺ مخاطباً لهنّ: حيضُ يوم تكُنَّ خير من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وقال ﷺ أيضاً: «من ماتت في حيضها ماتت شهيدة»[2] وهذا الأمر ينطبق على المرأة النفساء فإن الصلاة وضع عنها ولكن عوّضها الله عن ذلك بما ورد عن النبي ﷺ: «النفاس خير لهنّ من عبادة سبعين سنة صيام نهارها وقيام ليلها»[3] وقال ﷺ:

---

(١) باعتبار أن الدورة الشهرية تستغرق ٣ ـ ١٠ أيام، وهو ما يعادل تقريباً ثلث الشهر القمري، كما هو المتعارف عليه ـ المعدة.

(٢) راجع مستدرك وسائل الشيعة: ٢/ ٤١ عن لب اللباب للقطب الراوندي وفيه روايتان أخريتان تشيران أن في غسلها عن الحيض أجر كبير وفي الأخرى أن بغسلها تكفّر عن ذنوبها.

(٣) مستدرك وسائل الشيعة: ٢/ ٥٠ عن لب اللباب للراوندي.

«أيّما امرأة مسلمة ماتت في نفاسها، لم ينشر لها ديوان يوم القيامة»[١] وإن نقصان العقل فالمراد به نقصان الذاكرة[٢]، ومن هنا فقد جاءت شهادتها بنصف شهادة الرجل، وقد وردت علة ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[٣]، وقد توصل العلم الحديث الى أن المرأة يطرأ عليها النسيان اكثر من الرجل وربما بنسبة النصف، وقد حلل العلماء هذه المسألة علميا بما يطابق الآية الكريمة، وبما لا شائبة فيه وقد سبق وتحدثنا عن ذلك في محله فلا حاجة الى التكرار[٤].

ومما يدل على أن المراد ليس نقصان العقل الذي هو القوة المدركة بل المراد به قوة الذاكرة، أن للعقل معاني

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ٢/ ٥٠ عن الهداية: ٢٢ وجاء في المصدر عن أمالي الطوسي وعوالي اللآلي ولب اللباب أيضاً: أحاديث تشير إلى غفران الله للتي تموت في نفاسها وان الله سبحانه وتعالى لا يحاسبها.

(٢) لا يعد نقصان الذاكرة عيبا خلقيا أو عقليا، لكن يمكن اعتباره حجابا لحماية المرأة من عملية تكرار الألم الناتج عن تكرار الدورة الشهرية والوضع «الولادة»، أو بشكل عام حتى لا ترهق ـ المعدّة.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٤) أورد الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه حول الاعجاز العلمي في القرآن والسنة تحقيقا علميا أخذه من بعض الأطباء ذوو الاختصاص في تركيبة الانسان، يذكر فيه موضع الذاكرة في رأس الرجل والمرأة ومقدار التخزين بالاضافة الى العوارض بشكل دقيق، وقد ذكر بأن العلماء حددوه بنسبة النصف، فمن أراد التفاصيل فليراجع مظانه ـ المعدّة.

متعددة منها العلم[1] والذي هو قبال غيبوبته وقد شاع استعمال اللفظ فيما له ارتباط بحقيقة أخرى ولو بأدنى مناسبة، وذلك من باب أنه من مستلزماته، ومن تلك مفردة «العقل» المستخدمة هنا في قوة الذاكرة بدلا من القوة المدركة، ويكفي في ذلك مجرد أن القوتان مرتبطتان بالمخ ووظائفه، وعلى أي حال فإن المسألة مأخوذة على الأعم الأغلب والذي هو مناط لوضع القوانين بشكل عام.

ومما قدمناه اتضح أن المراد بنقصان العقل هو قلة الذاكرة وليس كما ذهب اليه المغرضون الذين أرادوا التلاعب بالألفاظ ليس لصالح الرجل بل لضرب الاسلام والانتقاص من المرأة، وإلا فإن في النساء منهن راجحات العقول على الرجال كما يشهد بذلك التاريخ ومواقف النساء المسلمات على عهد الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام.

(١) راجع تاج العروس: ١٨/٣٠، وفيه «وعليه اقتصر الكثيرون» مما يعني انه المرادف للعقل.

فرض الحجاب

في البداية لابد من الاشارة الى تفسير الحجاب حسب المصطلح الشرعي المتطور، فإنه في الواقع هو حجب نظر الرجل عن جسم المرأة بحيث يصد من الوقوع فيما ينافي العفة التي هي جزء لا يتجزأ من كرامة المرأة.

إذاً فنوعية الحجاب وأسلوبه متروك الينا وليست منوطة بشكل معين من الأشكال التي فرضتها العادات والتقاليد[١] وهرج لها الأعداء، وانتقصوا الاسلام بسببه وجعلوه عائقا أمام المرأة لممارسة الحياة بالشكل المطلوب.

إن الحجاب فرض، بمعنى أنه قانون الهي وضع لأجل المنع من الوقوع في الفتن التي تؤول في الغالب الى فساد المجتمع[٢] والجدير ذكره انه لا يختلف اثنان على وجوب

---

(١) اذ كثيرا منها لا يفي بالغرض بل يوجب المزيد من الاثارة، وقسما منها يوجب القرف، لذا علينا أن نلتزم بما الزمنا به الشرع ولا نتبع الاهواء من العادات والتقاليد.

(٢) وما يثار في هذه الأيام من قبل بعض حكام الغرب وبعض المثقفين وبالأخص في فرنسا من أن الحجاب رمز ديني، فهو مغالطة يراد قياسها بحمل الصليب عند المسيحيين ولبس القلنسوة عند اليهود ليتمكنوا من القضاء عليه ـ المعدّة.

سن قوانين تمنع من وقوع المجتمع في الفساد عبر التبرج حتى في الأنظمة الوضعية المتحررة[١] ولكن الخلاف في الحدود والأساليب[٢]، فالإسلام اختار أسلوب قمع الفساد الجنسي من جذوره، ومعالجته معالجة صادقة بالقضاء على أسبابه، وذلك عبر وضع عدد من القوانين التي كان الحجاب في مقدمتها، وجاء فرضها من خلال آيات متعددة مفادها مجموعة ما يلي: على المرأة أن تستر جميع بدنها بشكل لا يوجب الإثارة ولا يعيق حركة الحياة، ومن هنا جاءت الاستثناءات والتي حددها الفقهاء بعدم وجوب ستر الوجه والكفين وظاهر الرجلين، واليك الآيات التي نزلت في فرض الحجاب: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[٤]، وقال جل شأنه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ

---

(١) هذه بريطانيا قد منعت بعض انواع التبرج لانها توجب الاخلال بالنظام من جهة وفساد المجتمع من جهة اخرى.

(٢) كان ذلك ظاهرا في العصور الوسطى عندما كانت سيدات المجتمع يلبسن الملابس القصيرة والتي هي من نتاج الثقافة الاغريقية، فأصدرت الكنيسة بيانا يقضي بالتفريق بين سيدات المجتمع والداعرات، فأمرت سيدات المجتمع بلبس الملابس الطويلة حتى لا يشملهن ذلك التبرج ـ المعدة.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣، وقد ذكر فيها التبرج وقيّدت بالشكل الذي كان متعارفا أيام الجاهلية.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1]. وقال تبارك اسمه: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[2] وقال عز اسمه: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾[3].

وبغضّ النظر عن الروايات والأحاديث والسيرة والإجماع والعقل، فان الآيات ظاهرة بل شبه صريحة بوجوب الستر وبالاخص مواضع الافتتان والزينة بشكل يمنع من الوقوع في المحرمات حيث يفهم منها أن المقصود ليس فقط ستر الجسم بل كل ما يوجب الوقوع في الفتنة، وهو الملاحظ من استخدام المفردات التالية: «ابداء الزينة، عدم الايذاء، الجلابيب وغيرها».

وعلى أي حال، فان هنا ثمة سؤال يطرح نفسه هو: لماذا تقيد المرأة بالحجاب دون الرجل؟ والجواب في غاية البساطة، هو أن الذي يملك بعض المؤهلات والخصائص، عليه ان يحافظ عليها من العبث، فالمرأة هي التي تمتلك

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١ وفيه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ مما يفهم منها مسألة الاثارة.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٠، وفي هذه المرحلة لا تملك مؤهلات الاثارة.

النسبة العالية من الجمال والافتتان وهذا يعود الى تركيبتها الجسدية «الفسيولوجية» فمن امتلك جوهرة عليه أن يحافظ عليها من الايادي الاثيمة، مضافا إلى ما ثبت علميا من خلال علماء النفس بأن المرأة باستتارها هذا لا يؤثر في تدني مستوى الفساد فحسب بل يزيد في رغبة الرجل بالنساء مما يتلاءم مع تكوين المجتمع الفاضل وتكوين الاسرة على المحبة والوئام من خلال الاسس الصحيحة دون أن يكلفها شيئا باهظا لترغيب الرجال بالزواج منها، وهنا لا نريد أن نتحدث عن التكاليف الباهظة التي تكلف المرأة المتبرجة، حيث ذكرت الاحصائيات الى أن ٨٠٪ من مدخولهن يصرف في الكماليات، بالاضافة الى استهلاك الوقت الذي هو أثمن ما يملكه الانسان في هذا الاتجاه[١].

وفي عملية عكسية، وهي أن نُلزم الرجل بأن يتجنب النظر الى النساء، فهذا فرض غير واقعي اذا ما أريد به ان المرأة لا تتحجب والرجل عليه أن يغض الطرف عنها، اذ ان مؤداه التطبيقي هو فصل الرجال عن النساء تماما في كل مرافق الحياة، لان السيطرة على الناظر لا يمكن، والسيطرة على المنظور ممكن.

---

(١) راجع كتاب حوار عن المرأة: ٣٣.

وأما مسألة أن الحجاب يعيق من حركة المرأة بشكل عام فهذا ما لا يمكن قبوله بعدما وجدنا البريطانيات المسلمات المحجبات تعملن في جميع الحقول دون استثناء، فمنها السائقة للحافلات والقاطرات ومنها الموظفة، حتى أن المجلس البريطاني في عام ٢٠٠١ م أقر لهن زيّا خاصا لمن أراد منهن الالتحاق بسلك الشرطة، مما يتناسب والحجاب الشرعي، وهناك دول أوروبية أخرى حذت حذوها.

ونشفع ما سبق بأن الحجاب حالة فطرية اختارها الإنسان بفطرته وإعمال عقله، فقد كانت الحضارات جميعها قد تعاملت معه كواحد من الأسس الحضارية والتزمته كضرورة اجتماعية، وليس هو بدعة اسلامية كما يحلو للبعض تصويره، يقول لاروس[(١)]: «كان من عادة نساء اليونانيين القدماء أن يحجبن وجوههن بطرف مآزرهن أو بحجاب خاص كان يصنع في جزائر كوس[(٢)] وأمرجوس[(٣)] وغيرها وكان شفافا جميل الصنعة»، ويضيف قائلا: «وكانت

---

(١) لاروس بير Larouse Pirre: أديب فرنسي ولد سنة١٢٣٢هـ (١٨١٧م) وتوفي سنة١٢٩٢هـ(١٨٧٥م)، بدأ نشاطه باصدار جريدة في التربية والتعليم، والف في الفرنسية كتابا ليدرس في مدارس فرنسا، وقد توّج أعماله الثقافية بتأليف دائرة معارف القرن التاسع عشر.

(٢) جزيرة كوس: جزيرة يونانية تقع في بحر ايجة على مقربة من السواحل التركية الجنوبية الغربية، على مدخل خليج كرمة.

(٣) جزيرة امرجوس Amorgos: جزيرة يونانية تقع في منتصف بحر ايجة الى جهة الجنوب، في الشمال الشرقي من جزيرة كريت.

الفينيقيات يحتجبن بحجاب أحمر، وقد تكلّم عن الحجاب أقدم مؤلفي اليونان، حتى يروى أن بنيلوب[١] إمرأة الملك عوليس[٢] ملك جزيرة «أيتاك[٣] كانت تظهر متحجبة»، كما يتحدث ويقول: «وكان نساء مدينة ثيب[٤] تحجبن بحجاب خاص وهو عبارة عن غطاء يوضع على الوجه وله ثقبان أمام العينين لتنظر منهما المرأة، وفي اسبرطا[٥] كان الفتيات يظهرن أمام الناس سافرات، ولكنهن متى تزوجن إحتجبن عن الأعين، وقد كان أن حصل النساء على شيء من الرخصة حيث دلت النقوش على أن النساء كن يغطين رؤوسهن ويكشفن وجوههن فقط، ولكنهن متى خرجن الى الأسواق وجب عليهن الاحتجاب سواء كن عذارى أو متزوجات، وكان الحجاب موجودا عند نساء السيبريين[٦] والشعوب

(١) بينيلوب: Penelope: هي زوجة عوليس ووالدة تيلماك، اشتهرت بأمانتها لزوجها في غيابه عنها مدة عشرين سنة بسبب الحروب التي كان بطلها.
(٢) عوليس أو عولس Ulysse: كان من أبطال اليونان الاسطوريين في حرب طروادة، وكان ملك أيتا «ايتاق» وزوج بينيلوب وابا لتيلماك.
(٣) جزيرة ايتاك: أو ايتاكا، تقع في بداية خليج كورنثيا على جهة البحر الايوني، وهي جزيرة يونانية.
(٤) ثيب: أو ثيبة Thebes مدينة قديمة في اليونان بمقاطعة بيوسا، ينسب انشاؤها الى قدموس الفينيقي، اسمها الحالي ثيفا.
(٥) أسبرطا أو اسبرطة Sparte: من عواصم يونان القديمة، زاحمت أثينا على السيادة، لم يبق منها غير بعض الاثار
(٦) سيبريا: Siberie، هو القسم الشمالي في آسيا موزعة بين روسيا وكازخستان، تقع بين بحر قزوين والباسيفيكي.

النازلة في آسيا الصغرى والميديين[1] والفرس والعرب وغيرهم..، وكانت نساء الرومان مغاليات في الحجاب لدرجة أن القابلة «المولِّدة» كانت لا تخرج من دارها الا مخفورة ملثّمة باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها[2].

وقد أثبتت التجارب بأن الحجاب يزيد من قيمة المرأة في المجتمع، كما أن الحجاب بنفسه يزيد من اشتياق الرجل الیها، بينما المرأة غير المتحجبة وبالاخص غير المحتشمة فإنها تكون مبتذلة ويتعامل معها كسلعة يقضي الرجل بها وطره إذا نظر اليها، ويتمتع بها في لحظات، ولكنه سرعان ما يلفظها حين شبعت منها غرائزه الحيوانية.

وكان الحجاب قانونا ملزما في سائر الاديان السماوية بل وغير السماوية، وكان المتدينون يلتزمون به اشد الالتزام، ومن الجدير بالذكر أن نذكر بعض النصوص التي تتحدث عن الحجاب نفسه وبالصراحة، تاركين النصوص الاخرى الدالة على الحشمة وعدم التبرج المؤديان الى الحجاب، فقد ورد

---

(١) الميديون: نسبة الى ميديا أو ماد، كما يسميها الفرس، وهي منطقة في شمال غربي ايران، وقد عرف سكنة هذه المنطقة بالماد أو الميديون، وحكمهم سلالة عرفت بالماد او الميديون وكانت عاصمة حكمهم همذان «اكبتانا» وذلك سنة ٧٠٥ ق.م(١٣٦٩ ق.هـ).

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ٣/ ٣٣٥، عن دائرة معارف لاروس.

في نصائح زردشت[1] لاتباعه المجوس، والتي يحاول فيها ترسيخ مبدأ عفة النساء وعدم تبرجهن والتزامهن بالحجاب الذي كان سائدا آنذاك، وفي حديثه يخاطب الزوجان: «أيها العروسان أصغوا الى كلامي واحفظوا نصائحي وتمسكوا بالغيرة حتى تكون لكم حياة طاهرة، وكل واحد منكما لا بد وان يراعي العمل الصالح والمحبة حتى تنعم بالسعادة»[2].

ويعلق الكاتب بأن المرأة في ظل الدين المجوسي «الزرادشتي» كانت تغطي شعر رأسها وتلبس الملابس الطويلة والمقنعة والعباءة ولا زالت النساء المجوسيات في ايران يرتدين الحجاب الخاص بهن والذي هو عبارة عن غطاء للرأس وثوب طويل وسروال مفضفضان بالاضافة الى قلنسوة نسائية[3].

وأما نساء اليهود فكان مفروضا عليهن الحجاب، فقد ورد في التوراة في تسلسل الحديث عن رفقة زوجة اسحاق وأم عيسو ويعقوب: «ورفعت رفقة عينيها فرأت اسحاق فنزلت عن الجمل، وقالت للعبد من هذا الرجل الماشي في

---

(١) زردشت: أو زرادشت، من زعماء المجوس المدعي للنبوة، ظهر في ايران حدود سنة ١٢٦١ق.هـ(٦٠٠ ق.م)، يقال اصله من آذربيجان وهو من عائلة سپتيمه، اسم ابيه پوروشسپ واسم امه دغدوية، وكان معاصرا للملك كشتاسب الهخامنشي، ولما اعتنق الملك دينه انتشر في ايران.

(٢) حجاب در أديان الهي: ٨٧ عن يستا: ٥٣ قسم النصائح ٥ ـ ٨.

(٣) حجاب در أديان الهي: ٨٢.

الحقل للقائنا؟ فقال العبد هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت»[1] ويقول في مكان آخر عن المرأة التي خانت زوجها: «فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب، ويأخذ الكاهن ماء مقدسا في إناء خزف ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ويجعل في الماء، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ويجعل في يديها تقدمة التذكار التي هي تقدمة الغيرة وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المُرّ»[2] ولازالت اليهوديات الملتزمات يغطين شعرهن ويلبسن ملابس محتشمة لا تظهر اجسادهن، وقد احتال بعض المتجددات بوضع قلنسوة تناسب تحرير المرأة وفرض ستر شعورهن، بل وهناك منهن من يضعن الشعر المصطنع لتغطية شعورهن، هذا وقد جاء تفصيل مسألة الحجاب عند اليهود وانه فريضة سماوية في كتاب التلمود الذي يعد أهم تفسير وضع للتوراة فليراجع[3].

وأما الدين المسيحي فهو الاخر حث النساء على الحجاب وستر أجسادهن وشعورهن من الرجل الاجنبي عليها، وعليه سيرة المتدينين منهم وكذلك الراهبات ومن الملاحظ أن النساء الملتزمات منهن يسترن جميع جسمهن بملابس فضفاضة سوداء يستثنى فيه الوجه والكفين، ومما

---

(١) حجاب در أديان الهي: ٩٠.
(٢) التوراة، سفر التكوين، الاصحاح: ٢٥، الفقرة: ٦٥ ـ ٦٦.
(٣) التوراة، سفر العدد، الاصحاح: ٥، الفقرة: ١٦ ـ ١٨.

ورد في أمر الحجاب وستر الشعر في الانجيل قول بولس الرسول[1] في رسالته الاولى الى تيموثاوس[2]: «وكذلك أن النساء يزيّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل، لا بضفائر او ذهب أو لآلىء أو ملابس غالية الثمن، بل كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله وبأعمال صالحة»[3].

ويقول في رسالته الاولى الى أهل كورنثوس[4] وفيها عن عبادة المرأة: «وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى، فتشين برأسها لانها والمحلوقة شيء واحد بعينه، إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها»[5].

فالحجاب لا يعني حجبها عن المعرفة والعلم والعقل بل الحجاب يعني حجبها من السوء والشر اللذين يمكن أن يأتياها من الأشرار وأصحاب السوء.

---

(١) بولس الرسول: (١٠ ـ ٦٧ م) كان اسمه شاول، ولد في طرسوس « تركيا» من عائلة يهودية ثم انتقل الى أورشليم ليدرس اللاهوت اليهودي وصار معلما لاصول الدين وتفرغ لهذه المهنة في طرسوس «٢٤ ـ ٣٤ م»، تزعم حملة ملاحقة المسيحيين، ثم تحول الى المسيحية وصار داعية، وعمل مع برنابا في انطاكيا واعترف به رسولا مع انه لم يكن من تلامذة السيد المسيح وأعدم في روما سنة ٢٦٧.

(٢) تموثاوس أو تيموتاوس ـ بالمثناة ـ: هو القديس الذي تتلمذ على يد بولس ورفيق دربه في الرسالة، أقام في افسس بتركيا، مات مقتولا في حدود سنة ٩٧م.

(٣) الانجيل، رسالة بولس الى أهالي تيموثاوس، الاصحاح: ٢ الفقرة: ٩ ـ ١٠.

(٤) كورنثوس: مدينة يونانية قديمة نافست اثينا واسبرطة، وجه اليها بولس الرسول رسالتين.

(٥) الانجيل: رسالة بولس الى أهل كورنتوش، الاصحاح: ١١، الفقرة: ٥.

الإختلاط

من المسائل التي يثيرها أعداء الاسلام هو ان الاسلام يمنع من اختلاط المرأة بالرجل، وفي الواقع أنه عنوان عام يختلف من مورد الى آخر ولا يمكن الحكم على كل موارده بحكم واحد، ولم يمنع الاسلام عموم الاختلاط، وانما منع الاختلاط المؤدي الى الفساد، ولم يقع المنع على الاختلاط المجرد، بل الملاحظ أن جميع العبادات تعد من الامور التي يختلط الرجال بالنساء فالطواف في مناسك الحج، واقامة الصلوات الخمس وغيرها جماعة، وكذلك سائر الشعائر الدينية تقام في تجمع حافل بالرجال والنساء.

هذا وقد شاركت المرأة منذ التاريخ الأول الاسلامي مع الرجل في الحرب والسلم، في الافراح والاتراح، وفي جميع المجالات، فهذي فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة الرسول صلى الله عليه وآله دخلت المعمعة السياسية بعد وفاة أبيها، حيث خطبت الناس وفيهم الرجال والنساء، وكذلك فعلت ابنتها زينب الكبرى عليها السلام حين خطبت الناس في الكوفة والشام.

ولقد منع الاسلام اختلاط المرأة بالرجل المؤدي الى احتكاك جنسي واستمتاع غير خلقي، ومن هنا نجد انه منع خلوة الاجنبي بالاجنبية، ولم يمنع من كشف الطبيب الرجل عن المريضة فيما إذا لم تتمكن من مراجعة الطبيبة.

ومن جهة أخرى فانا لم نقرأ ولم نسمع عن تاريخ الاسلام بأنه خصص مسجدا للنساء وآخر للرجال[1] ولا عيّن طريقا يخصّ الرجال دون النساء وهكذا، مما يدل على أن الاختلاط بشكل عام غير ممنوع، ولكن الذي يؤدي الى ما لا يحمد عقباه هو المحرم شرعا، وأما الاعداء فقد استغلوا بعض الموارد ليحكموا على الاسلام بالتخلف ظلما وعدوانا.

هذا وقد مرت الحضارة الغربية بتجربة صعبة خلال عقود من الزمن ووجدت ان اختلاط الجنسين في التعليم أدى الى تراجع نسبة الأداء التعليمي مما عمدت الى فصل الجنسين في صفوف خاصة للذكور وأخرى للاناث، وقد تعالت الاصوات من مختلف الجوانب التعليمية في الغرب وبالاخص في الولايات المتحدة الامريكية الى فصل البنات عن البنين، وبالفعل فقد أدت التجارب الى تحسين أداء

---

(١) نعم قد نجد في بعض الدول الاسلامية ذلك ولكننا نجد الفساد شائعا فيها، حيث نجد الى جانبها مسابح مختلطة والفسق والفجور منتشر والخمر متداول، والاسلام لا يريد بعض الظواهر، بل يريد اقتلاع الفساد من جذوره.

التعليم والتفوّق، وتذكر المصادر ذاتها أن المرأة شعرت ولاول مرة بكرامتها وحظيت باحترام أكبر في صفوف الجنس الواحد، كما حظيت بنجاح باهر في موارد التعليم[1].

(١) راجع مجلة الطاهرة الطهرانية: ١٣٧/٤، التاريخ: ١٤٢٣ هـ (٢٠٠٢ م).



المرأة والتعليم

قد يعكس وضع المرأة من خلال الاحصاءآت الكفيلة ببيان نسبة الامية بين النساء في الدول الاسلامية وارتفاعها، الى القول بأن الاسلام من وراء منع المرأة من التعليم، وربما يوثق ذلك بتصريحات بعض المتزمتين من ذوي العقول المتحجرة ممن لا صلة لهم بالفقه الاسلامي، وليس لهم باع في النصوص القرآنية والروائية، ويتمسكون ببعض الظواهر التي كانت سائدة منذ الجاهلية، والتي بقيت تحكم البلاد الاسلامية بعد بزوغ فجر الاسلام دون التعمق في النصوص التي جاءت لتحث الجميع من ذكور وإناث على التعليم واضعين خلف ظهورهم الممارسات التي كان القادة من ورائها لاجل إشاعة التعليم بين المسلمين ذكورا وإناثا، والتي بحثناها في أبواب سابقة، لذلك فإننا نشير اليها بشكل عابر، ومن تلك على سبيل المثال قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم

ومسلمة»[١]، وكان الرسول ﷺ يستغل وجود الاسرى بين المسلمين ممن هم من الامم المتحضرة الاخرى فيطلب منهم أن يعلموا المسلمين كل ما لديهم من علوم وحرف وصناعات، بل نجده ﷺ كان له عدد من المترجمين والكتبة ليخاطب الموفدين اليه من أقوام تختلف لغتهم عن لغة المسلمين العربية.

وما حمل الروايات العامة الواردة في هذا الباب على ارادة الذكور إلا تخرّص لم يدعم بدليل. فمثلا قولهم في: «اطلبوا العلم ولو في الصين» بأن المراد بذلك الذكور دون الاناث، إنه في الحقيقة ناشئ من ضعف الملكات والقدرات العلمية التي يحملونها، ولماذا هؤلاء لا يقولون بتخصص الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي تخاطب المسلمين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أو ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ والتي جاءت بصيغة المذكر وحصرها في الرجال، بل لابد من القول أن الصلاة والصوم والزكاة بل وسائر الاعمال الواردة في مثل هذه النصوص كلها خاصة بالذكور دون الاناث، لان الخطاب ورد بصيغة الذكور.

وعلى أي حال فإن أول من دوّن وكتب وأملى من

---

(١) بحار الانوار: ٦٧/٦٨.

الرجال هو علي بن ابي طالب عليه السلام، ومن النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، ولقد أشرنا الى هذا في مكان آخر من الموسوعة[1] فلا نكرر.

والحاصل: إن الاسلام قد أصيب من الداخل والخارج بكثير من التزوير والتحريف، فإن الاعداء قاموا بعملية تدليس الحقائق التي هم يعرفونها أحسن من غيرهم حيث رفعة الاسلام وعظمته، ولكنهم قوّموا الاسلام بعمل بعض المسلمين المتزمتين الذين ادخلوا آراءهم وعاداتهم وتقاليدهم في الاسلام وعرضوها باسم الاسلام، ومن هنا نحذرهم من الاستناد في المسائل الفكرية الاسلامية على عمل المنتسبين الى الاسلام، بل المفروض عليهم ان يستندوا الى الكتاب والسنة الصحيحة، وعلى سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام، ومن الملاحظ أن النساء اللائي ارتبطن بهؤلاء القادة من أمهات وزوجات وبنات وأخوات لم يكن فيهن من الاميات واحدة ابدا، فكلهن من فضليات عصرها.

ولا مجال إذاً من حمل الروايات أو الآيات الى ما يرتئيه أصحاب العقول المتحجرة، والأخذ بآرائهم وتخصيص

---

(١) راجع الجزء الاول من معجم المصنفات الحسينية من هذه الموسوعة.

تلك الايات بالذكور أو حصرها بعلم القرآن أو الدين بل هي مناقضة لجميع النصوص التي وردت في مسألة المعرفة والعلم والتدبير.

كما لا مجال للمتربصين بالاسلام من الاستدلال على الفكر الاسلامي اعتمادا على سيرة وأعمال المنتسبين الى هذا الدين طالما هناك نصوص صريحة وَمُفَصَّلة لهذا الجانب كما ولغيره، ومن هنا نجد أن العلماء قد صنفوا الروايات الخاصة بالعلم والمعرفة والتدوين والترجمة وغيرها في معاجمهم، فليراجع.

المرأة والعمل

إن الحديث عن إمكانية عمل المرأة جاء في الحقيقة من الدعاية المعاكسة التي شنها الأعداء على الاسلام والمسلمين، وربما جاء في كلام بعض المسلمين أو ممارساتهم وسيلة الى التهريج ضد الاسلام، وفي الواقع إن الذي يجب أن يؤخذ به حيث لا دليل على حرمته: أصالة الحلية، فكيف بوجود روايات تحث المرأة على العمل، منها قول الرسول ﷺ: «نِعْمَ اللهو للمرأة الصالحة المغزل»[1] بالاضافة الى ذلك فإن المرأة كانت تعمل على عهد الرسول ﷺ في كل مناحي الحياة، الزراعة والنسج والغزل والطحن والسقاية وما الى ذلك[2]، وهذه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة

---

(١) بحار الانوار: ١٠٠/٢٦١.

(٢) روى سماعة عن الإمام عليه السلام: «أن رسول الله ﷺ خرج بالنساء في الحرب يداوي الجرحى». وسائل الشيعة: ٦/٨٦، صحيح البخاري: ٨/٤١٦، وفي رواية الإمام الباقر عليه السلام: «الجارية إذا تزوجت ودخل بها ولها تسع سنين، ذهب عنها اليتم، ودفع اليها مالها، وجاز أمرها في الشراء والبيع» ـ الكافي: ٧/١٩٧.

الرسول ﷺ: غزلت وحاكت وطحنت وخبزت ومارست السقاية حتى مجلت يداها، وهكذا كانت النساء في العهد الاول من الاسلام وظلت المرأة تعمل وتعمل الى عصرنا هذا دون مانع او رادع، نعم إنما حرم الله لها المتاجرة بنفسها أو بمفاتنها كما هو رائج عند من لا يؤمن بالله واليوم الاخر من اتباع الحضارة الغربية، وأما اذا كانت المرأة محتشمة ولا ينتقص من كرامتها فلا مانع من العمل، وان كان الاسلام لم يفرض عليها العمل في عيولة الاب أو الابن أو الزوج بل فرض عليهم الكد والعمل للقيام بمهامها وحاجاتها وذلك تكريما لها وابعادها عن الشقاء والتعب ليلقي العناء على الرجل والذي تتلاءم تركيبته الجسدية والصعبة في قبال المرأة التي أريد منها أن تكون الجنس الناعم وتعمل بما يناسب وتركيبتها الجسدية «الفسيولوجية»، ومن هنا نجد أن المرأة العاملة في جميع المجالات يسمح لها أن تعطل عملها فترة الدورة الشهرية وقسما من أيام الحمل تماشيا مع بنيتها الجسدية. وأخيرا فان المراد بالعمل هنا ليس تولي المناصب العليا التي سيأتي الحديث عنها، بل المراد هو الاعمال الاخرى فاذا جاز لها تلك المناصب العليا فبالاولية جاز لها ما هو أدنى منها أهمية، ولكن اذا ما منعت عن تلك فلا دليل

على منعها عن العمل في سائر مرافق الحياة سواء كانت ادارية أو عملية.

ولنا للمرأة أنموذجان، الأول: السيدة خديجة رضوان الله عليها، كانت من كبار تجّار مكة، وكان الرسول ﷺ يعمل معها في هذا الحقل.

الثاني: ابنتي النبي شعيب عليه السلام واللتان كانتا تستسقيان الماء، وقد نصّ عليهما القرآن الكريم وبيّن كيف كانتا محتشمتان، رغم الاختلاط[1] كما كانتا ترعيان أغنام أبيهما أيضاً.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٥].

ولاية المرأة

شاع بين شرائح من المسلمين، أن المرأة لا تصلح لأن تتبوأ مراكز عالية، سواء في المجال الديني أو الاجتماعي، سياسيا كان أو غيره، بل ذهبوا الى حرمة ذلك، وقد استندوا في ذلك الى بعض الروايات التي لا تتجاوز ما سنورده هنا:

١ - روي عن رسول الله ﷺ «لن يفلح قوم تملكهم امرأة»[١].

٢ - روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كنتم جند المرأة، واتباع البهيمة»[٢].

٣ - روى عبد الله بن عباس عن الرسول ﷺ: «ولو أن آدم خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء، ولم يكن بيد

---

(١) المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٣٢٤ وفي جواهر الكلام: ٤٠/ ١٤: «لا يفلح قوم وليتهم امرأة» عن سنن البيهقي، ١٠/١١٦ ومسالك الاحكام: ٢/ ٣٥١.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٣.

الرجال»، «ولو خلقت حواء من كله لجاز القضاء في النساء كما يجوز في الرجال»[1].

٤ ـ روى الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: «اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر، وان أمرنكم بالمعروف فخالفوهن كيلا يطمعن منكم في المنكر»[2].

٥ ـ روي عن الامام الباقر عليه السلام: «إن المرأة لا تولى القضاء ولا تولى الامارة»[3].

٦ ـ روى الباقر عليه السلام عن آبائه في وصية النبي لعلي عليه السلام قال: «ياعلي ليس على المرأة جمعة ولا جماعة، ولا أذان ولا إقامة ولا عيادة مريض ولا اتباع جنازة، ولا هرولة بين الصفا والمروة ولا استلام الحجر، ولا حلق، ولا تولى القضاء، ولا تستشار، ولا تذبح إلا عند الضرورة، ولا تجهر بالتلبية، ولا تقيم عند قبر، ولا تسمع الخطبة، ولا تتولى التزويج بنفسها، ولا تخرج من بيت زوجها الا باذنه...»[4].

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ١٤/ ٢٨٥.
(٢) وسائل الشيعة: ٢٠/ ١٧٩، وقد ورد بنصوص مختلفة.
(٣) بحار الأنوار: ١٠١/ ٢٧٥.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٢٦٣.

٧ ـ روى ابن عباس في حديث طويل عما دار بين الله وحواء: «الان اخرجي أبدا فقد جعلتك ناقصة العقل والدين والميراث والشهادة والذكر، ومعوجة الخلقة شاخصة البصر، وجعلتك أسيرة أيام حياتك، وأحرمتك أفضل الاشياء: الجمعة والجماعة، والسلام، والتحية، وقضيت عليك بالطمث ـ وهو الدم ـ وجهة الحبل والطلق والولادة، فلا تلدين حتى تذوقين طعم الموت، فأنت أكثر حزنا، وأكسر قلبا، وأكثر دمعة، وجعلتك دائمة الاحزان، ولم أجعل منكن حاكما، ولا ابعث منكن نبيا...»[١].

٨ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه خطب وقال: «معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على حال، ولا تذروهن يدبرن أمر العيال، فانهن إن تركن وما أردن، أوردن المهالك، وعدون أمر المالك، فإنا وجدناهن لا ورع لهن عند حاجتهن، ولا صبر لهن عند شهوتهن...» الحديث[٢].

٩ ـ روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «واياك ومشاورة النساء، فإن رأيهم الى

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة: ١٤/ ٨٥، عن تحفة الاخوان: ٢٧.
(٢) وسائل الشيعة: ٢٠/ ١٨٠ عن من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٦١.

أفن[١] وعزمهن الى وهن... ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها، فإن المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة»[٢].

هذا كل ما ورد في هذا الباب حسب ما توصلنا اليه، ومن الواضح أنها لا تصلح للنهوض في حجب المرأة من تبوّء المناصب العليا من المرجعية الدينية أو السياسية من الولاية والامارة أو القضاء والتقليد، وذلك لأن معظمها مرسلة أو ضعيفة السند، ومن جهة أخرى فانها لا تفي بالغرض لوحدها، لأن في الرواية الثانية المقصود هو عائشة التي قادت معركة الجمل، ولا يراد منها العموم، ولذلك أتبعها بقوله: «اتباع البهيمة».

وأما الرواية السادسة التي هي من وصايا الرسول ﷺ فإنها تشمل الكثير من الآداب من مستحبات ومكروهات، فلا يمكن الاستدلال بها لوحدها، إلا إذا ما ثبت عدم جواز تولي القضاء من دليل آخر، ليكون هذا النص من المؤيدات، لا أن يكون دليلا برأسه، ومن الملاحظ أنه ذكر منعها من صلاة الجماعة مثلا، مع العلم أن الفقهاء يفتون بجواز حضورها الجماعة، بل قالوا باستحباب ذلك.

---

(١) رأي أفن: ضعيف وناقص.
(٢) نهج البلاغة: ٣٠١.

وأما الرواية الثالثة والسابعة لعلها واحدة، وهي رواية غريبة لا يمكن الاستدلال بها، وإن خلقها هكذا لا يرتبط باغوائها لآدم لأن الخلقة كانت قبل الإغواء، ومع ذلك فان الفقهاء لا يأخذون بكل ما ورد فيها.

وأما الرواية الثامنة فإنها مخالفة للواقع وتنقيص للمرأة بما لا يعقل، ولا يمكن صدوره من أمير المؤمنين عليه السلام، ومثلها الرواية الرابعة والتي نقلت بنصوص مختلفة، مما لا يمكن الاعتماد على نصها ودلالاتها وهما من الروايات الغريبة، ولا يخفى انهما مرسلتان وتلحق الرواية التاسعة بهما حيث أن التعليل الاول يفند بعمل الرسول صلى الله عليه وآله في مسألة الحلق عندما كان في العمرة ومنع من الدخول الى مكة حيث أخذ برأي أم سلمة، وبموارد أخرى، وأما التعليل الثاني فإنه معقول متزن لا يدل على المنع بل على عدم تحميل المرأة ما لا طاقة لها.

وأما الرواية الخامسة فيكفيها الارسال.

وأما الرواية الاولى فقد صححها الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين إلا انهما لم يخرجاها بل أهملاها ولكن هناك من ضعف سندها، ولا يخفى أنها رويت بنصين مختلفين مضمونهما واحد مما يحتمل انه منقول بالمعنى مما

يضعف الاسناد اليها، وربما احتمل أن تكون خاصة بموردها، حيث يروى أنه ﷺ إنما قال ذلك حين بلغه أن ملك ذي يزن توفي، فولوا أمرهم امرأة، ولكن استخدام لفظ «إمرأة» يفيد العموم.

واما ما يقال: ان الرسول لم يستخدم المرأة لمنصب القضاء أو الامارة لا يمكن ان يكون دليلا على المنع لانه يحتاج الى إحراز أنه كان بسبب كونها امرأة، ولكن أنّى لنا ذلك، بعدما عرفنا أن أغلب النساء كنّ أميات، وكانت المرأة في تلك العهود مضطهدة، حتى جاء الاسلام ليرفع عنها الظلم والحيف، فكانت في عهد الرسول ﷺ بداية حريتها وانطلاقها، ولم تكن المرأة بعد قادرة على تولي منصب القضاء أو الامارة، ولا يخفى ان القضاء في عهد الرسول ﷺ لم يكن له بروز لكي ينصب شخص له، ولم يعهد أن الرسول ﷺ نصّب أحداً لهذا المنصب.

وعلى أي حال فإن اهم ما يستدل على منع المرأة من تولي القضاء أو الامارة هو الإجماع المدعى من قبل مجموعة من الفقهاء، إلا أننا نحتمل أن معقده هو هذه الروايات التي لا تصلح للاستدلال بها، أو يكون معقده الاستحسان أي أن المرأة لم تتول منصبا من هذه المناصب على عهد الرسول ﷺ والحاكمين بعده، وهذا أمر مخدوش فيه، نعم

لا تكلف المرأة بما لا طاقة لها عادة، وكما في الحديث أنها ريحانة وليست بقهرمانة، فلا يفرض عليها أمثال تلك المناصب، وهذا لا يعني منعها منها أو حرمة توليها، وقد ذهب بعض الفقهاء ـ على سبيل المثال ـ الى جواز تقليد المرأة(١) مما لا ينافي الاطلاقات والعمومات ولا يخالف بناء العقلاء ومع هذا فلا نريد مخالفة الإجماع إن ثبت ونهض(٢) فتأمل.

والحاصل فإن الكلام في مناصب ثلاث: القضاء، المرجعية الدينية، والحكم(٣). وأما بقية المناصب فلا مراء في جواز توليها وإن تزمّت بعضهم وأبعدها من كل المناصب، سواء كانت خطيرة أو لم تكن، دون أن يستند

---

(١) جاء في الفقه: ١/ ٢١٦ «وفي اشتراط الرجولية في المجتهد خلاف، واستدل لمن قال بجواز تقليد الانثى والخنثى بالاطلاقات والعمومات وعموم بناء العقلاء من غير رادع».

(٢) وقد اختلف فقهاء الفريقين في ذلك، فهناك من جوّز لها منصب الاجتهاد، وهناك من ربط الاجتهاد بالقضاء، وهناك من جوز لها القضاء المدني «الاموال» ولم يجوزها في القضاء الجنائي، وذهب بعضهم كابن جرير الطبري، جواز أن تكون المرأة حاكما على الاطلاق في كل شيء لانه يجوز ان تكون فقيهة فيجوز ان تكون قاضية ـ راجع الفقه الاسلامي وأدلته: ٦/ ٤٨٣.

(٣) لا يقدم المؤلف الكرباسي هنا حكما قطعيا بجواز أو حرمة تولي المرأة القضاء، والمرجعية والحكم، كليا أو جزئيا، مع اعتبار أن الاسلام حررها من العبودية، يقول الباحث الكرباسي: «ومع هذا فلا نريد مخالفة الاجماع إن ثبت ونهض»، ومع كل ذلك هل ثبت الاجماع ونهض في هذه الحالة؟ ولماذا لم يتثبت من الامر الى الان؟ ـ المعدة.

الى دليل مقنع، وفي الحقيقة، هو من الرجوع الى الجاهلية، ونظرتهم الظالمة عن المرأة، وهو بمثابة وأد المرأة، ولكن بشكل آخر، وقد حررها الاسلام من ذلك.

قيمومة الرجل

ان القيمومة: هي في الواقع تحمل المسؤولية في الجانب الاداري في دائرة ضيقة جدا ألا وهي في الحياة الزوجية والتي تشير اليها الآية الكريمة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1] مما يفهم منها ـ بل صريحها ـ أن هذه القيمومة انما أنيطت بالرجل لأمرين، الاول: جسمي «فسيولوجي»، والثاني: حقوقي، فالأمر الجسمي «الفسيولوجي» هو امتلاك الرجل قدرة الإدارة بما يرافقها من المصاعب التي يتناسب وقدراته الجسمية «الخلقية» دون المرأة التي هي الأخرى خلقت بقدرات معينة بعيدة عن تحمل مثل هذه المصاعب، ومن هنا نجد أنهم يعبرون عن الرجل بالجنس الخشن، بينما يعبرون عن المرأة بالجنس الناعم أو اللطيف.

ومن الملاحظ أن المرأة بمقتضى توزيع الأدوار تتحمل

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

مسؤوليات أخرى ولذلك تتعرض للدورة الشهرية والحمل والإنجاب وتبعات ذلك، وتملك إحساسا مرهفا، وكل هذا بشكل عام لا يمكّنها من أن تترشح لمنصب الإدارة العملية في التجمع العائلي، وهذا لا يعني أنها لا تقدر بتاتا، فإن التجارب أثبتت أنها قادرة ولكن ليس بالهيّن ولا بالأمر الملائم مع طبيعتها الأنثوية، وهذا النوع من الامتلاك للقدرات أو عدمه لا يعني أن الرجل أفضل أو أنها الفضلى، بل انه الأنسب والأفضل في إدارة شؤون العائلة بينما هي الأنسب والأفضل في تولي أمور الحمل والإنجاب والارضاع وتبعاتها.

إذاً هو من باب توزيع الادوار حسب المقومات الجسمية والنفسية، وهذا هو المراد من القسم الأول من الاية الكريمة، وبما ان الحياة العائلية بحاجة الى رعاية دائمة فالرجل الذي لا ينشغل بالدورة الشهرية ومؤثراتها النفسية والعضوية، كما لا ينشغل بالحمل والإنجاب وتبعات ذلك، فيكون بذلك أولى من المرأة إذ لا يمكن التهاون بهذا الدور أو تعطيله.

وأما عن الأمر الحقوقي: فإن الرجل قد كلف من منطلق توزيع الأدوار ـ حسب القدرات الجسدية والنفسية ـ بالقيام بالشؤون الاقتصادية لهذا المجتمع العائلي، إذ عليه العمل على تحصيل المال لتسديد حاجات الأسرة من الزوجة والأولاد،

فلا يعقل أن يفصل بين جانب الايراد والصرف وبين إدارة هذين الشأنين، بمعنى إننا نكلفه بتحصيل المال وإنفاقه، ونعرض عنه في التوزيع العادل لذلك المال لدى الانفاق.

إذاً فإن الحقّان مرتبطان إرتباطا عضويا وإلا لأوجب الخلل، وذلك لأن الامور مترابطة بعضها مع البعض الاخر، فالمرأة تتحمل الحيض وعوارضه والحمل ومصاعبه والانجاب ومستلزماته، والعاطفة وتوابعها، وفي قبال ذلك فان الرجل يتحمل مسؤولية العمل لتحصيل المال حسب حاجة الاسرة والانفاق عليهم في جميع مناحي الحياة حسب المطلوب، والتعقل في الموازنة والتوزيع العادل بما يلائم وحالات الاسرة والوضع الاجتماعي.

ولا بأس هنا بالاشارة الى أن القانون الفرنسي يشير الى هذه القيمومة بشكل آخر ويقول: «إن الزوج يجب عليه صيانة زوجته، وان يقدم لها كل ما هو ضروري لحاجات الحياة، في حدود مقدرته وحالته، وان المرأة في مقابل ذلك ملزمة بطاعة زوجها وان تسكن معه حيث سكن، وتنتقل معه الى أي مكان يرى صلاحيته لاقامتها»[١]. وربما هاتين

---

(١) ماذا عن المرأة: ١٠٨، عن كتاب بيت الطاعة وتعدد الزوجات، والطلاق في الاسلام: ٦ عن المادة ٢١٣ و٢١٤ من القانون الفرنسي.

المادتين تنطبقان مع قوله تعالى في الايات التالية: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[1]، وقوله جل وعلا: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[3].

ومن نافلة القول أن هناك بعض المناقشات التي تثار حول نهاية الآية التي ذكرت مسألة قيمومة الرجل فلا بأس بالتذكير بها وهو قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾، فالحديث كما يظهر من الآية هو عن تقسيم النساء وبيان انهن على صنفين، صنف متفاهمات وهنّ الصالحات في أعمالهم تجاه الحياة الزوجية، قانتات مطيعات لله فيما فرض عليهن في طاعة أزواجهن فيما يرتبط بحياتهن الزوجية وحافظات على أسرار بيوتهن وكرامة بيت أزواجهن في العفة وعدم الخيانة في العِرض أو المال أو السمعة بالمقدار الذي حفظه

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٦.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٧.

الله للازواج، وهناك زوجات يخاف منهن أن لا تكون كذلك ويكون لهم تمرّد على تلك القوانين التي فرضها الله لحرمة الحياة الزوجية، فعلى الزوج أن يقوم بتربيتهن قبل وقوعهن في الخطأ وتعرضن للخيانة، فيما إذا أدرك ذلك منهن، ولهذه التربية مراحل ثلاث بينها الله بالتدريج تبدأ بالوعظ والارشاد والاقناع، وتنتهي بالضرب مروراً بهجر المضاجع، وقد أفرط البعض في تفسير الآيات مما أساء الى الاسلام، ولكن أعلام المفسرين ذكروا بأن المقام مقام تربية وليس مقام التأديب لأن مجرد الخوف لا يتناسب مع التأديب، وتفسير الخوف بالعلم بعيد من السياق، وقد ذهب معظم أعلام المفسرين أن المراد به الظن[١] ليكون المقام مقام تربية لا تأديب، وهو من باب تدبير أمور البيت الزوجي التي نزلت فيها الآية جميعها وهي القيمومة.

وفسّر النشوز بعدم طاعة الزوجة لزوجها في الأمور التي فرضها الله عليها والتي من أجلها عقدت هذه الشراكة والتي محورها الحقوق الزوجية المعروفة (التمكين)، وربما يطرح هنا سؤال نفسه، هل النشوز خاص بالمرأة أو أن الرجل أيضاً قد ينشز؟ ونجيب على ذلك بقوله الله تعالى ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ

---

(١) راجع قلائد الدرر: ٣/١٤٧.

﴿مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾[1] وقول الإمام الصادق عليه السلام: «النشوز يكون من الرجل والمرأة جميعاً»[2].

ويقول بعض المفسرين: «قد يكون النشوز من الزوجة فقط وقد يكون من الزوج وقد يكون منهما»[3] إلا أن هذه الآية التي نحن بصددها تتحدث عن نشوز المرأة، ولنشوز الرجل مقام آخر وله أحكامه.

وقد فسّر أعلام المفسرين والفقهاء بأن المراد بالمرحلة الثانية، أي هجر المضاجع أن يحول الرجل ظهره اليها في الفراش، وهو ما نصّت عليه رواية الإمام الباقر عليه السلام في قوله: «يحول ظهره اليها»[4] وأما المرحلة الثالثة: الضرب. فعلى فرض أن يكون المراد به هو الضرب المعروف، فقد ذهب أعلام المفسرين والفقهاء الى أن الضرب يكون بالمنديل ـ وليس بسياط ـ بشكل لا يؤلمها. وقد ورد في حديث الإمام الباقر عليه السلام: «إنه الضرب بالسواك»[5]، لأن المقصود هو الردع وإظهار الانزجار، وهذا ما يحصل بالمنديل أو السواك، وربما كانت الاشارة على ما يقولون أبلغ من

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.
(٢) وسائل الشيعة: ٢١/٣٥٠.
(٣) الكاشف: ٢/٣١٧.
(٤) مجمع البيان: ٣ ـ ٤/٦٩.
(٥) التبيان: ٣/١٩١.

التصريح، وقد ورد في مناهي الرسول ﷺ: «لا يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد ثم يعانقها في آخر النهار»[1] حيث يتبادر من الحديث أراد إقلاع المسلم من ضرب زوجته، دون أن يشرع الضرب الخفيف، كما أن سياق الآية يوحي أن المناسب تفسير مفردة الضرب بمعاني أخرى وردت في اللغة والتي منها الإعراض، أي الإعراض عن المرأة، سواء في العمل الجنسي، أو عن النوم معها في فراش واحد، ولا حاجة الى تقدير حرف الجر «عن» ليُفهم منه هذا المعنى، هذا ولم يعهد أن الرسول ﷺ ولا أهل بيته عليهم السلام ضربوا إحدى زوجاتهم. ولا يخفى أن الواو المستخدم في المراحل الثلاثة هي للترتيب من الأخف الى الأثقل[2]، وأما الأقوال الأخرى، فالظاهر أنها بعيدة من روح التسامح الاسلامي المعهود، كما أن الأمر الوارد هنا للاباحة، وليس فرضا كما عليه معظم الفقهاء والمفسرين[3]. ومن هنا نجد أنه سبحانه وتعالى حريص على عدم البغي في تتمة الآية المباركة.

وهناك بعض الروايات المنكرة والتي ظاهرها توحي بأنها موضوعة حيث يروى أن النبي ﷺ قال: «لا تضربوا

---

(١) السنن الكبرى: ٧/٤٩٨، ح: ١٤٧٨٠.
(٢) راجع قلائد الدرر: ٣/١٤٨.
(٣) راجع قلائد الدرر: ٣/١٤٩.

إماء الله»، فجاء عمر الى رسول الله ﷺ فقال: «ذأرن[1] النساء على أزواجهن، فرخّص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: «لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم»[2]، ويروى أيضا أن سعد بن الربيع[3] ـ وكان نقيباً من نقباء الأنصار ـ نشزت عليه إمرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، فانطلق بها أبوها الى رسول الله ﷺ وقال: «أفرشته كريمتي فلطمها»، فقال: «لتقتص منه، فنزلت ـ الآية ـ فقال ﷺ: أردنا أمراً وأراد الله أمراً، والذي أراد الله خير»[4].

ومن الملاحظ أن في ذلك تنقيص في حق الرسول ﷺ كما يتناقض مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[5].

ومجمل الكلام أن الروايات في هذا الباب في الأساس

---

(١) ذأر: أنف، اجترأ.
(٢) سنن أبي داود: ١/٦٥٢، ح: ٢١٤٦.
(٣) سعد بن الربيع، كان خزرجيا، وكان يتناوب في بعث العشاء الى بيت أبي أيوب الأنصاري حين ورد النبي ﷺ الى المدينة. قُتل شهيدا يوم أحد ودفن هو وخارجة بن زيد في قبر واحد، وكان يفوح من ترابهما رائحة المسك.
(٤) الكشاف: ١/٥٠٦.
(٥) سورة النجم، الآية: ٣ و٤.

قليلة جداً، وليس فيها ما يُثلج الصدر، وأكثرها ضعيفة السند، فلا يمكن الركون اليها، فيبقى أن تفسر الآية بالمعقول وبروح التسامح الاسلامي السامي مادامت العموميات واللغة ومضامين بعض الروايات وسياق الآية تساعدنا على ذلك.



إن التعدد ليس فرضا اسلاميا أو خيارا مفضلا، أو منهاجا عاما كما يشيعه أعداء الاسلام، بل هو قانون غير ملزم «مباح» لمعالجة حالات اجتماعية مستعصية لا تحل الا بها فيما إذا افترض وجود أغلبية انثوية في قطر من الاقطار بغض النظر عن الاسباب التي أدت الى تلك الكثرة للجنس الناعم[1] أو ربما علاج لبعض الحالات الفردية التي قد توصد الابواب بدونها[2] ولكن بشرطها وشروطها، وليست تلك الشروط بالهينة أو

(١) جاء في كتاب ماذا عن المرأة: ١٧٤ «أن احصاءات المواليد في العالم تثبت بأن مواليد الاناث أكثر من الذكور» هذا بشكل عام، وجاء فيه ايضا: أن الذكور الصغار اكثر تعرضا للموت من الاناث، وورد فيه كذلك: «إن الرجال يتعرضون الى الموت ومن ذلك على سبيل المثال أن عدد الأيامى من النساء في الحرب العالمية الثانية فاق على ٢٥ مليون إمرأة».

(٢) كما هو الحال في موارد العقم، والامراض النسائية الموجبة لتحديد النسل والتوقف عن الانجاب، فهل المرأة العقيمة والتي نسبتها اكثر من الرجال تبقى بلا زواج أو أن يحرم الرجل من التناسل، واختيار الطلاق لأي عقم، سواء كان رجلا أو امرأة لا يحل المشكلة، والحل الافضل هو الجمع بين العقيمة والمنجبة مع الالتزام بالعدالة، لأن نتائج عدم الزواج أو الطلاق معروفة سلفا من ناحية الفساد الاجتماعي، ومن الناحية النفسية.

المستسهلة، والتي من أهمها: الحاجة، وأداء الحقوق، والعدالة، وعدم دفع الضرر بضرر اكبر.

ولا يخفى أن الاسلام ليس المبادر لهذه النظرية بل كانت سائدة في الغرب والشرق منذ القدم[1] وإنما جاء الاسلام واصطفى من بين الخيارات ما هو أنجعها وأقلها ضررا، مما يتوافق مع مفاهيمه العامة وهو إصلاح المجتمع مع رعاية مصلحة الفرد. وما رفض المرأة في هذه الايام وفي بعض الاقطار إلا لأمور غير خافية على من لهم اهتمام في القضايا الاجتماعية والسياسية ومن أهمها:

١ ـ إن أعداء الاسلام قاموا بالعمل المضاد تنكيلا بالاسلام، وذلك عبر جميع الوسائل الاعلامية المتاحة لهم باختلاف أنواعها وبالاساليب المتنوعة.

٢ ـ إن الرجل التجأ الى ذلك للتقاص عن زوجته الاولى للخلافات التي ظهرت بينهما، أو انه أقدم على ذلك من دون حاجة الى التعدد، أو انه أخل بالحقوق والواجبات، أو انه أغلف زوجته عن ذلك، أو انه أقدم الى ذلك دون أن يقوم بدراسة حقيقية عن الاوضاع المرتبطة بالعوائل المحيطة بهم.

٣ ـ إن المرأة عاشت في بيئة معبأة ضد التعدد، أو تثقفت عليها، وعلى ثقافة امتلاك الرجل، وانحصار حبّه لها،

---

(١) راجع كتاب حقوق المرأة في النظام الاسلامي: ٣٣٤ عن قصة الحضارة: ١/ ٧١.

متناسية أن الحبّ مادة غزيرة لا تنقص مهما اغترف منها، وإن كل جزء منه غنيّ بالمكونات الاساسية لعمق مادة الحب وعدم نفاذ كنهه، حتى في الحب من النوع الواحد، إذ ربما يقال أن حبّ الرجل لامه يختلف عن حب الرجل لابنه أو زوجته، أو حبّه لله أو الوطن، ولكن الحب من النوع الواحد فان مادته أيضا غزيرة وكنهه لا ينفذ، وفي كل غرفة تغترفها تجد جميع المكونات دون نقص، وليس الحب مادة تنقص بالتوزيع، ومثال ذلك: أنك إذا رزقت أبناءً وبناتاً، فإن حبك لكل أولادك موزّع على جميعهم، فلا ينقص حبك لأحدهم عن الاخر، وأن كل حب قائم بحد ذاته على حاله، نعم إن الحب سوف يختلف بسبب المعطيات والمميزات التي يمتلكها كل واحد منهم، أو حسب تعامل كل فرد منهم معك، فلو أن أحد أبنائك عصاك فإن حبك له بالطبع ينقص بمرور الايام، وهذا الامر ذاته ينطبق على الزوجات، فإن حبّ الرجل لزوجته الأولى هو ذاته لزوجته الثانية دون أي زيادة أو نقيصة، لأن الحب شي واحد، اللهم إلا أن وجود بعض المعطيات توجب الخلل في الحب، كما أن الامتلاك بحد ذاته في الجنس البشري لا يصح سواء كان الطرف الآخر إمرأة أو رجلا إذ لا تجوز الانانية، وعلينا أن نتعمق في آيات التعدد لنعرف مقاييسه، ومن تلك الايات: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا

تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾[2]. إن ضمّ هاتين الآيتين والتعمق في معانيها يوصلنا على الأقل الى التالي: إن التحرّج في التعدد لابد وأن يكون كتحرجكم في التصرف بأموال اليتامى، ومع الاضطرار لابد من مراعاة العدالة بينهن ولكنها صعبة جدا، رغم كل المحاولات، فلا أقل أن لا تتظاهروا بالميل لإحداهن في الحب دون الاخرى فتجعلوها كالمعلقة، لا هي زوجة حقيقية ولا هي حرة طليقة.

وعلى أي حال فإن التعدد هو الحل الأمثل والانجع لحالات العنس والخيانة الزوجية، أو مسائل الانجاب وما الى ذلك[3]، وقد أقر مجلس الأمة الروسي «الدوما» في عام

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

(٣) وقد ذكروا في هذا المجال أموراً عدة من وراء فلسفة التعدد موثوقة بالاحصاءات والتجارب العلمية والتطبيقية منها على سبيل المثال: إن الرجال تواقون بفطرتهم الى التعدد، ان البلوغ الجنسي لدى المرأة يبدأ قبل الرجل، وأن قانون تعدد الزوجات هو إحقاق لحق من حقوق المرأة بشكل عام، حيث أن النساء الاخريات يبقين عوانس، وذلك لان نسبة الاكثرية بشكل عام في نهاية المطاف من حصة الجنس الناعم، سواء بالولادة او بالحوادث او الكوارث أو بمقاومة المرأة للامراض. راجع كتاب حقوق المرأة في النظام الاسلامي: ٣٦٧.

٢٠٠٢ م جواز تزويج الرجل بأربعة نساء، مبرزين ذلك بحاجة الشعب الروسي الى ذلك، وللعلم فإن تعدد الزوجات ليست ظاهرة إسلامية حتى ينتقد من قبل الاعداء، فعلى سبيل المثال: إن صاحب الدار الذي أسكنه في لندن مسيحي من نيجيريا متزوج من أربعة نساء، ولما سألته عن مثل هذا التعدد فقال انه شائع عندنا، وقد التقيت بإحدى زوجاته فوجدت أن الامر بالنسبة اليها طبيعي، كما وإنني قرأت عن مطالبات جهات غير إسلامية بالتعدد[١].

وربما كان سبب تهريج الاعداء ضد المسلمين عبر طعنهم بجواز تعدد الزوجات هو خوفهم من كثرة تزايد عدد المسلمين التي دأبوا على محاربتها بشتى الوسائل حيث أصبح عدد المسلمين أمراً واقعا لا يمكن إنكاره، فقد بلغ عددهم ثلث نفوس العالم[٢] وهو أمر مريع لأعداء الاسلام، ومن هنا فقد عمدوا الى تحديد النسل في الدول الاسلامية، والى

---

(١) جاء في كتاب ماذا عن المرأة: ١٤٥ «طالب أربعة من كبار القساوسة بزعامة اسقف مدينة كانتربري في أواخر القرن العشرين الميلادي - في بريطانيا باباحة التعدد للمسيحيين من أجل المصلحة العامة ومصلحة النساء أنفسهم» وفي المانيا صرح السيد فون مسلس: «بأن قاعدة تعدد الزوجات لازمة ضرورية للسلائل الآرية»، هذا وقد أيد العديد من علماء الغرب نظام تعدد الزوجات، راجع تصريحاتهم في كتاب ماذا عن المرأة: ١٠٠.

(٢) راجع بشأن ذلك المقدمة التمهيدية لمعجم المشاريع الحسينية من هذه الموسوعة.

استخدام الإعلام في سبيل بيان مضار التعدد وكثرة الانجاب، والى افتعال الحروب، بل الى تجويع الأمة بأشكال مختلفة والى استئصال أرحام النساء بطرق ملتوية والتي تم الكشف عن حالات كثيرة في عدد من الدول الغربية والدول العربية، والى عقم الرجال بأساليب دنيئة عبر بعض المأكولات والملبوسات والتي كشف النقاب عنه أخيراً، والى استخدام الاسلحة الجرثومية والكيمياوية في عدد من الحروب التي أشعلوا فتيلها في الشرق، مضافا الى استخدام بعض السبل الانسانية، كالإغاثة وقبول اللجوء لأغراض لا إنسانية، والتي منها تغيير المعتقد من الاسلام الى غيره، وهناك أساليب أخرى لا مجال لذكرها وبيان تفاصيلها لانها خارجة عن موضوعنا الرئيسي هنا، ولعلها تجد مكانها في مقطع آخر من هذه الموسوعة[١].

وأخيرا فقد بثت إحدى الفضائيات في أواخر عام ١٤٢٣هجري حواراً مع بعض التجمعات النسائية فلوحظ أن بعض هذه التجمعات والتي مقرها في القاهرة تسعى الى

---

(١) وفي قبال ذلك نجد ان بعض الاديان الاخرى والذين هم من الاقلية يسعون الى كثرة الانجاب بالطرق الحديثة وقد ذكرت لي احدى الطبيبات المشرفة على بعض الحالات بكثرة مراجعة ابناء هذا الدين الى المستشفيات فبدأوا ينجبون اكثر من عشر اولاد بينما كانوا في السابق يقتصرون على اثنين وثلاث.

الترويج لاجل التعدد لانها ترى بأنه الحل الامثل لمشاكل الحياة الزوجية والخيانات الحادثة بكثرة والى تفكك الاسرة والعنوسة والطلاق[1].

ومن المناسب أن ننقل ما أورده ول ديورانت[2] عن مسألة تعدد الزوجات في الغرب ما نصه حرفيا: «ولا شك أن تعدد الزوجات لاءم حاجة المجتمع البدائي في ذلك الصدد أتم ملاءمة، لأن النساء فيه يزدن عددا على الرجال، وقد كان لتعدد الزوجات الفضل في تحسين النسل أعظم من فضل الزواج من امرأة واحدة الذي نأخذ به اليوم، لانه بينما ترى أقدر الرجال وأحكمهم في العصر الحديث هم الذين يتأخر بهم الزواج عن سواهم، وهم الذين لا ينسلون إلا أقل عدد من الابناء، ترى العكس في ظل تعدد الزوجات والذي يتيح لأقدر الرجال أن يظفروا بخير النساء، أن ينسلوا أكثر الابناء،

---

(١) برنامج خاص للنساء من فضائية الجزيرة الذي يبث كل مساء اثنين من ايام الاسبوع.
وجاء في كتاب ماذا عن المرأة: ١٥١ «إن تركيا ذات الشعب المسلم لوت وجهها عن الاسلام وأصدرت سنة ١٩٢٦ م(١٢٤٥هـ) قانونا مدنيا منعت بموجبه تعدد الزوجات ولكن لم تمض ثماني سنوات حتى هال أولياء الامر فيها عدد الولادات السرية، وعدد الزوجات السرية، وعدد وفيات الاطفال المكتومة».

(٢) ديورانت، ول وايريل Dutant Will (Iam James)، ولد سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م). مربّ ومؤلف أمريكي، ويعتبر أحد أبرز الكتاب الذين وقفوا جهودهم على تبسيط التاريخ والفلسفة. ترك آثارا منها: الفلسفة والمشكلة الاجتماعية، قصة الفلسفة. اشتهر بكتابه قصة الحضارة، وجميعها ألفت باللغة الانكليزية. توفي بعد عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).

ولهذا استطاع تعدد الزوجات يطول بقاؤه بين الشعوب الفطرية كلها تقريبا، بل بين معظم جماعات الانسان المتحضر، ولم يبدأ في الزوال في بلاد الشرق إلا في عصرنا الحاضر، لانه قد تآمرت على زواله بعض العوامل»[1].

ويظهر لنا مما قدمنا أن تعدد الزوجات ليس ظاهرة متخلفة والذي تصر عليه الثقافة الغربية غير المتأصلة، بل أنه لابد من حل بعض الثغرات الناشئة من سوء التصرف ومن استغلال الرجال لها لمصالحهم الشخصية الضيقة.

ومن نافلة القول هنا الاشارة الى زواج الرسول ﷺ بتسعة زوجات والذي أصبح من خصائصه بمعنى عدم تجاوز الاربعة لغيره، فقد وضحنا في مكان آخر[2] هذه المسألة واستعرضنا جانبا منها، وحاصله: أن زواجه من نسائه بعد الهجرة كانت فيها مصالح اجتماعية أو قانونية أو سياسية، ولم يكن قد تزوج لاجل النزوات الجنسية والعياذ بالله، وقد استعرض هذه المسألة جمع من العلماء والمؤلفين[3]، ونشير على سبيل المثال فان في تزويج ابنة عمّتة زينب بنت جحش الأسدية لزيد بن حارثة ـ الذي كان عبداً وحرّره ـ حكمة رفع

---

(١) قصة الحضارة: ١/ ٢٧.

(٢) راجع الجزء الاول من السيرة الحسينية من دائرة المعارف الحسينية ـ المعدة.

(٣) راجع حقوق النساء في الاسلام: ٨٩.

الطبقية التي كانت سائدة، ثم بعد طلاقها، قام بتزويجها، لحكمة إبطال بدعة، عدم الزواج من زوجة الابن بالتبنّي، وما تزويجها لزيد أولا، ولنفسه ثانيا بعد طلاقها من زيد إلا وكان بأمر من الله جل وعلا، كما أن زواجه من جويرية بنت الحارث المصطلقية كان سببا لإعتاق جميع الاسرى والسبايا من قبل المسلمين حيث وجدوا أن كل منهم قد أسر من أقارب زوجة الرسول ﷺ فعظم ذلك عليهم فحرروا جميع الاسرى والسبايا، وهكذا تم زواج الرسول ﷺ من زوجاته فإن في كل واحدة سرا وحكمة للمصلحة العامة وللاسلام والمسلمين، ولا ريب أنه كان يقوم بذلك تحت مظلة السماء.



الحضانة

إن الحضانة في الاساس مرتبطة بالرضاعة، وبما ان المرأة تمتلك القدرة على القيام بأمور الطفل، فان حياة الطفل ترتبط بها منذ أن اصبح رحمها المكان الانسب لنطفته، وهو خير بيت يحمي الجنين فيه وينمو بعد خلقته وعلى أثرها جاءت الرضاعة التي هي جزء لا يتجزأ من الحمل والانجاب، ويبقى حليبها هو الغذاء الافضل للطفل كما اعترف العلم الحديث بذلك، ووردت احاديث من الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في هذا الاتجاه أيضا، ومن هنا فإن حرمان الطفل من أمه ظلم لا يغتفر، وله آثار سلبية تظهر في الكبر، ولقد اكتشف العلماء حديثا أن الكثير ممن يبتلى بضغط الدم ناتج من حرمانه حليب الأم، كما ذكروا بأن إفراغ الحليب من ثدي الأم يحول دون إصابة الثدي بالسرطان، بالاضافة الى مصّ الطفل لثدي أمه هو الآخر يقلل من نسبة إصابة الثدي بالسرطان، الى غيرها من آثار وفوائد للطرفين.

ومن المعلوم ان الرضاعة أمدها سنتان بلا خلاف حيث قال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[١]. ورغم ان الرضاعة حق من حقوق الطفل الا أن الام لها الحق في أخذ الاجرة على ذلك من زوجها[٢] إن لم تتبرع بذلك، حيث أن المسؤولية تقع على الاب. ولا خلاف بأن الام أحق بحضانة الطفل من غيرها إن شاءت، وكانت مأمونة على الطفل من عقيدتها وسلوكها، ولم تتزوج، واقل الحضانة سنتان، وأكثرها سبع سنين على خلاف في ذلك، وربما قالوا حتى البلوغ أو التمييز، وأما بعد ذلك فيأتي دور الأب في تحمل مسؤولياته[٣].

ولا تنافي بين كون الأم أحق بالحضانة وبين أن لها الحق في أن تقبض الأجر على حضانتها للطفل، وذلك حفظا على حقوقها المادية والمعنوية، وحقوق الطفل أيضاً، وهذا دليل آخر على أن الاسلام قد حافظ على الطفل والأم ولم

---

(١) سورة الاحقاف، الآية: ١٠.

(٢) في دراسة حول القوانين وحقوق المرأة والتي انتشرت في أواسط الثمانينيات من القرن الماضي من خلال مؤتمر المرأة العالمي، كشفت البحوث آنذاك أن الشريعة الاسلامية كقانون أعطت المرأة من الحقوق ما لم يوجد في أي من القوانين الوضعية حتى تلك التي تصدرها الدول الداعية الى تحرير المرأة. ومما أشارت اليه الدراسة هو أن الاسلام أعطى للمرأة حق الأجرة عن إرضاع الطفل، وترك لها أن تتبرع بذلك، راجع اليونيسيف ـ حقوق المرأة ـ المعدّة.

(٣) راجع الفقه الاستدلالي: ٧/ ٧٤٢، منهاج الصالحين: ٢/ ٣١٥.

يترك جانبا من جوانب المسألة إلا وبيّنها ورعاها. فالطفل في هذه الفترة بحاجة الى الحنان والعطف اللذان مصدرهما الأم، دون الأب، وأما بعد ذلك فان الطفل بحاجة الى مراقبة وتربية ورعاية، فالأب أقدر على ذلك من الأم، وما يحاك ضد الاسلام حول رعاية الطفل وحرمان الأم منه محض افتراء.



حق الطلاق

الطلاق كما هو مروي أبغض الحلال عند الله، وانه غير محبذ في الاسلام، وهو من جهة أخرى «آخر العلاج الكي»، فعندما لا يتمكن الزوجان من التفاهم في أدنى مراتب العيش في الحياة الزوجية المشتركة فإنهما يعيشان في جحيم مستمر عندها يأتي الاسلام ليشرع لهما الطلاق الذي طالما حرمته بعض الفرق المسيحية الى أن اضطرت الى اباحته، ومن المعلوم أن للطلاق شروطا صعبة بالأخص حسب منظار مذهب أهل البيت عليهم السلام وذلك محاولة منهم لدرء الفصل بين الزوجين مهما أمكن، ومن تلك الشروط شهادة العدلين، مضافا الى عدم التسرع بالطلاق من قبل الحاكم بل وعليه محاولة التوفيق بين الزوجين، ومما فرضه الاسلام أن الطلاق لا يقع في حالة الحيض[1]، ومن تلك العوائق:

---

(١) رغم ان الطلاق انفصال ولا حاجة بالرجل الى المرأة او بالعكس فإن الشرع اشترط ان لايقع الطلاق في ايام الحيض خلافا للزواج حيث لا يشترط فيه ذلك وإن كان الغرض منه الاستمتاع بالمراة، وكذلك الحال في الشهود.

أخذ العدّة لإعطاء المجال أمام التعقل والرجوع الى الحياة الزوجية، ومنها تكليف الزوج بالنفقة أيام العدة، وعليه رعاية الاطفال بعد الطلاق لان ذلك من واجباته، كل ذلك عوائق أمام وقوع الطلاق، بالاضافة الى مسألة الحكم[1]، وأخيراً مسألة المحلّل بعد الطلاق الثالث، والحرمة المؤبدة بعد التاسعة.

إن مسالة الطلاق محسومة حيث إنه حلّ سلمي لقضية عالقة وهو عدم التفاهم، ولابد أن يقع في أجواء هادئة لا يسودها الغضب، وإلا بطل الطلاق، ولم يقع، ومن هنا فقد أمر الشرع بأن يكون الطلاق بالحسنى حيث يقول جل وعلا: ﴿اَلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[3].

وعلى أي حال ليس هذا هو المقصود هنا، بل المقصود لماذا الطلاق بيد الرجل دون المرأة، وقد بينا بعض جوانب المسألة لدى البحث عن قيمومة الرجل دون المرأة،

---

(١) يقول جل وعلا: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾ [النساء: ٣٥]، والذي يفهم منه الوجوب على المختار، اذ على الحاكم ان يقوم بذلك قبل الطلاق.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٢.

ونضيف هنا أن الحالات أربع: إما أن يكون الطلاق بيد الزوج، أو يكون بيد الزوجة، أو يكون بيديهما، أو أن يكون بيد غيرهما، أما الأخير فهو بالنتيجة أجنبي عنهما، وإما أن يكون بيديهما فلا يحل الخلاف بل يزيده تعقيدا، ويبقى الامر إما أن يكون بيد الزوجة أو بيد الزوج، ولا مجال الى حل آخر، فلو دار الامر بينهما لابد من دراسة الموردين واختيار ما هو الأنسب واقل مفسدة، ولا شك بأن تسليم زمام أمر الطلاق بيده أقل فسادا مما إذا كان الطلاق بيدها لأمور عديدة أهمها: أنه أكثر عقلانية منها، وان الامر يتعلق بأمور أخرى، فإذا أنيط الطلاق اليها لابد من التغيير الجذري في عدد من المسائل النفسية والجسدية والاجتماعية والقانونية والتي منها مسألة المهر والنفقة[1]. وبقية المسؤوليات الملقاة على عاتق الرجل لتتحول كل هذه المسؤوليات الى المرأة، وهذا يعني تحويل المرأة الى الرجل والعكس بالعكس، والأمر يعود الى البدء، والمرأة بهذا تكون مكرمة اكثر حين خففت عنها أعباء الحياة المليئة بالمشاكل والمسؤوليات.

ومن جهة اخرى إنها تتمكن من ضمانة حقها بأمور عدة، منها الضغط على الرجل بالتزامه القوانين التي وضعها

---

(١) ومنها نفقة العيال.

الاسلام، ومنها وضع الطلاق بيدها ضمن عقد الزواج[1] أو عقد آخر ملزم، ومنها أنها تتمكن من المطالبة بالطلاق الخلعي، ومنها أنها إذا ضاقت من زوجها ذرعا فلها مراجعة الحاكم وبعد إثبات مدعاها فإنه يطلقها طلاقا ولائيا إذا لم يستجب الزوج للطلاق، وأما مسألة فسخ الزواج بالعيوب التي لا يمكن أن تتحملها المرأة فهو باب آخر مفتوح لها مما فسح لها المجال في أخذ القرار، والأمر حينئذ بيدها، ومن المفروض أن لا نحمّل الاسلام سوء تصرف المسلمين وعدم التزامهم بالقوانين الاسلامية، واختراقاتهم المتكررة.

---

(١) جاء في كتاب حقوق المرأة في النظام الاسلامي: ٣١٦ حول هذا النوع من الطلاق جاء نص المادة المترجمة من القانون الاسلامي كالتالي: «يمكن لطرفي عقد الزواج ان يشترطا كل شرط لا يتناقض مع طبيعة العقد المذكور ضمن عقد الزواج أو ضمن عقد آخر، مثلا أن يشترط حينما يتزوج الزوج إمرأة أخرى أو يغيب مدة معينة أو يترك الاتفاق أو يتعدى على الحياة الزوجية أو يسيء معاملتها بالشكل الذي تصبح الحياة بينهما أمرا لا يطاق، فالزوجة تكون وكيلة عن الزوج في الطلاق، أو لها الحق في التوكيل بالطلاق، وبعد اثبات تحقق الشرط في المحكمة وصدور حكمها النهائي بذلك تستطيع المرأة طلاق نفسها».

الإرث

مسألة الإرث ترتبط بعدد من المسائل التي تنظم الحياة الزوجية والحياة الأسرية، ولا يمكن بحثها منفصلة عن تلك لأنها جاءت كنتيجة طبيعية لتلك القرارات، فما دام الرجل هو الذي وقع عليه الرهان لتحمّل إدارة البيت الزوجي بل الأسري بمعنى انه فرض عليه تحمل جميع مصاريف زوجته وأبنائه بالاضافة الى أمه وأخواته وجده وجدته فيما إذا لم يتمكنوا من إعالة أنفسهم[١] وكان هو قادرا على ذلك فقد أوكل اليه أمر إدارة البيت الزوجي والأسري فالعدالة تفرض أن تكون حصة الرجل من الإرث أكثر من حصة المرأة لعدم تحملها المسؤولية، وهذا أمر طبيعي فإن المرأة كزوجة يجب على الزوج الإنفاق عليها وإن كانت ثرية طيلة الفترة التي هي في حبالته، والمرأة كابنة يجب على الأب الإنفاق عليها ما دامت لم تكلف، ومن بعدها إن لم تكن صاحبة دخل يفي

---

(١) هذا في غير الزوجة بشكل عام والاولاد فترة عدم البلوغ.

بأغراضها، والمرأة كأم على زوجها أو إبنها إن فقد الزوج الانفاق عليها إن لم تكن صاحبة ثراء ومكنة، وكذلك المرأة كأخت فالواجب على أخيها أو زوجها أو أبيها أو إبنها الصرف عليها ولا يفرض عليهن العمل بل يبقى ذلك خيار لهن.

ومن هنا فإن المعادلة مدروسة ومحسومة، وفي الواقع فإن حصة المرأة من الارث والذي هو النصف نسبة الى ولفها، وهو أكثر بكثير من المسؤولية الواقعة على وليها تحت عنوان الزوج أو الاب ثم الأخ أو الابن، وللمثال: فانه إذا توفي شخص وورث ابنه عشرة دنانير وابنته خمسة دنانير فان الابن الوارث مسؤول على الانفاق على زوجته وأولاده على أقل التقادير، وأما الابنة فهي غير مسؤولة عن الانفاق على زوجها وأولادها بل يبقى ما ورثته في الحفظ والصيانة.

ومن هنا نجد أن المرأة قد حظيت أكثر من الرجل، وما ذلك إلا تكريما لها وتخفيفا عنها، ولا يخفى أن المرأة كزوجة مهما كانت ثرية فالواجب على الزوج الانفاق عليها في كل الابعاد التي يعتبرها الشرع والعرف ضروريا من المأكل والملبس والمسكن وما في طيف ذلك حسب حالتها الاجتماعية، وان المرأة كابنة فما دامت غير مكلفة فالواجب على الاب الانفاق عليها، اللهم الا إذا كان الاب غير قادر

على ذلك، وإذا ما خصص الابن الاكبر بالحبوة دون البنت الكبرى فلأن الابن الاكبر مسؤول عن القيام بما فات على الاب من الواجبات، فجاءت الحبوة في قبال ذلك، فلا اعتباط في الامر، ولا هناك ما هو بعيد عن الحكمة.

من المسائل التي يتراءى للبعض أن المرأة قد أُجحف حقها هي مسألة أنها تلتزم بالحداد على وفاة زوجها دون أن يلتزم الرجل بالحداد على وفاة زوجته، وهي من المسائل المثيرة بالفعل حيث أن الجواب عن مسألة عدة الطلاق واضحة كل الوضوح، وأنها جاءت لأجل التأكد من خلو الرّحم من الجنين، وحتى لا تختلط المياه[1] ويكون في ذلك فساد الأنساب والمواريث والمصارف، كما ورد في حديث الإمام الرضا عليه السلام[2]، وربما أضيف في المطلقة الرجعة أمر آخر ألا وهو إعطاء الفرصة للتراجع عن قرار الطلاق والعودة الى العش الزوجي مرة ثانية حيث في هذه الفترة متسع من الوقت للتفكير برواء عن نتائج هذا القرار، وأما في مسألة موت الرجل ماذا يمكن أن يكون الدافع يا ترى من وراء أن

(١) خلط المياه: هو تعبير مجازي حيث لا يمكن خلط المياه، بل المراد عدم معرفة الأب بالشكل الطبيعي.

(٢) راجع علل الشرائع: ٢/٢١٨.

المرأة عليها أن تعتد لزوجها وتبقى في حالة الحداد فترة من الزمن دون أن يفرض على الرجل فيما إذا فقد شريكة حياته؟

في البداية لابد من بيان المسألة بشكل واضح وبشيء من التفصيل: وهو أن المرأة إذا توفي عنها زوجها فإن عليها أن تبقى فترة ١٣٠ يوما «أربعة أشهر وعشرة أيام» في حداد متواصل على زوجها حيث لا يجوز لها الزواج إلا بعد هذه الفترة الزمنية، كما يجب عليها أن تبقى في حالة حداد وحزن على زوجها بأن لا تتزين حسب العرف السائد في بيئتها، وقد فرضه الله بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1] وهذه المسألة لا خلاف فيها بين جميع الفقهاء، في كل المذاهب الاسلامية، ويبدو من الاحاديث الواردة في هذا الباب أن العدة والحداد هو مجرد إحترام للزوج لان الحكم جاء في جميع الحالات الزوجية، ولا مجال للقول بأنه لعدم إختلاط المياه، لأن اليائس والصغيرة وعدم المدخول بها مجمع عليه بأنها لا بد لها من الالتزام بهذا الغرض، وعلى فرض القول بعدم اختلاط المياه يأتي السؤال التالي: لماذا شرع الله للمطلقة مائة يوما وأضاف هنا ثلاثين يوما؟ وفي الحقيقة لابد وأن

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤، ولا مجال للقول بأن الازواج يشمل الجنسين لان في استخدام ضمير المؤنث في التربص والانفس دلالة بأنها من طرف الزوجة لا الزوج.

نعترف بأننا لم نتوصل الى كنه هذا الحكم وأسبابه الحقيقية[1] ومن المعلوم أن نسبة المجهولات عندها لا تحصى، ومنها لماذا التحديد بهذه الفترة الزمنية ١٣٠ يوما، ولكن الذي يمكن أن يقال هنا: بأن الحداد يرتبط بقيمومة الرجل في الحياة الزوجية وفي الاسرة، واعتبار قمة الهرم الزوجي حيث كانت تقع عليه مسؤولية الادارة والانفاق، فأراد الله أن يكرمه في نهاية حياته في قبال ما تحمله من أعباء إدارية واقتصادية بل ومعنوية أيضا أيام حياته، ولابد من النظر الى هذه المسألة بروح من الواقعية حيث أن عمود البيت الزوجي يتهاوى بفقد الرجل الزوج والاب، وهذه المسالة لها ارتباط بالعديد من الأمور التي ترافق حياة الأسرة، وعلى رأسها القيمومة التي سبق وقلنا لابد من أن يكون طرف الخيط بيد أحد الزوجين، ولا خيار أمامنا إلا لتحميل الرجل كل المسؤوليات الجسام لقدرته على التحمل دون المرأة ومن هذا المنطلق نجد الأعراف منذ القدم تحمل الرجل الزوج والاب حيث ينسب اليه دون المرأة حسب مقتضيات جميع الأديان والمذاهب وجميع الأنظمة والأعراف قديما وحديثا، القطرية منها والدولية.. هذا ما يمكن فهمه

---

(١) يرجى الرجوع الى اصول الكافي، باب علة إختلاف عدة المطلقة وعدة المتوفى عنها زوجها ـ المعدة ـ .

بشكل منفصل عن مسألة حداد المرأة على زوجها، وأما الفلسفة من وراء تحديد المدة المفروضة عليها ربما نتوصل الى ذلك فيما بعد[١]، ولكننا نعرض عن الحديث عنها هنا، لانها خارجة عن الموضوع.

وأخيرا لابد من الاشارة الى أن الاسلام قد خفف عن الزوجة الحداد الذي كان مفروضا عليها أيام الجاهلية حيث كانت تعتزل الناس في شر مكان من البيت لابسة أدنى أخلاق ثيابها، فتظل كذلك حولا كاملا لا تغير ثوبها ولا تغتسل ولا تقلّم أظفارها، حتى إذا انقضى الحول، ألقت من مكانها بعرة تنبئ به أهلها بانتهاء الحول، فإذا خرجت تمسح بأول حيوان تجدع من كلب أو داجن أو حمار، وقد يموت ما تتمسح به من نتنها[٢].

(١) لقد وردت بهذا الشأن عدد من الروايات وملخصها في ذلك: أن عدّة المتوفى عنها زوجها هو في قبال مدة ايلاء الرجل لها والذي لا يتجاوز أربعة أشهر، كما أن الزوج لا يحق له الابتعاد عن زوجته سفرا أكثر من أربعة أشهر، وهذه الفترة غاية تحمل المرأة من عدم ممارسة الجنس في الأعم الأغلب، بالاضافة الى أن التأثر النفسي في التي توفي عنها زوجها يبدأ بالتلاشي بعد هذه الفترة - راجع علل الشرائع: ٢/ ٢٢٢، مضافا الى أن مسألة تعدد الزوجات هو من اختصاص الرجل دون المرأة، فمع التعدد يجد الرجل حرجاً في ذلك إن توفيت إحداهن بعد الأخرى، وكل هذه الأمور تحتاج الى دراسة معمقة، ربما تمكنا من القيام بذلك مستقبلا.

(٢) راجع حقوق النساء في الاسلام لمحمد رشيد رضا: ١٧٢.

إعفاء المرأة عن القتال

من الطبيعي أن يرتبط القتال بأمرين، الاول: القدرات الجسدية، والثاني: الاستعداد النفسي، ومما لاخلاف فيه أن القدرات الجسدية للانثى تختلف عن الذكر بشكل طبيعي وفي الأعم الأغلب، ولا يناط بالنادر والشاذ كما لا يناط باللاتي يتدربن تدريبا قاسيا لانماء قدراتهن القتالية، إذ المناط هي القدرات الخلقية، فالمرأة التي يعبر عنها بالجنس الناعم لا يمكن التفريط بها لتدخل معمعة الحرب وساحة القتال التي معروفة نتائجها سلفا حيث لا تعود اليها ولا للأمة بالصالح.

كما أن قدراتها النفسية ميّالة الى الرقّة والعطف والحنان مما لا تساعدها على خوض المعارك والمناوشات، ومن هنا نجد أن العالم الغربي الذي رفع راية التساوي بين المرأة والرجل بشكل مطلق لم يتمكن خلال قرن أو أكثر من أن يطبق هذا المفهوم لا أقل في مشاركتها القتال جنبا الى جنب مع الرجل رغم أن القتال في هذه الأيام لا يحتاج الى الكثير

من الجهد، ولا الشجاعة وقوة العضلات، حيث أصبحت الآلة هي التي تسيطر على الموقف، والانسان أصبح يتحكم بعدد من الأزرار والمقاود ويدير مجموعة من الأدوات التي لا تحتاج الى قدرات جسدية ولا الى قناعات نفسية والتي هي مفصولة تماما عن النهاية السلبية المترتبة على تلك الحرب.

ومع هذا فان الاسلام لم يمنع المرأة من الجهاد حيث لم تذكر في المستثنيات في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، وربما أراد بعض الفقهاء درجها ضمن الضعفاء ولكنه لم يثبت، وغاية ما استدل به الفقهاء هو بعض الروايات التي لم تتجاوز الثلاثة، ومنها ما ورد أن الإمام الحسين عليه السلام حين خرجت أم وهب الى المعركة يوم عاشوراء قال لها: إجلسي فقد وضع الله القتال عن النساء[2] وهذه الروايات في الواقع ليست بالمستوى المطلوب في الفقه ولا تصلح أكثر من أن تكون مؤيدات لا يستند اليها بالاستقلال، وما الاجماع المدعى الا مستنده عدم خروج النساء في المعارك على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن حكم

---

(١) سورة التوبة: الآية: ٩١.

(٢) بحار الانوار: ٤٤/١٢٣ عن امالي الصدوق.

بعده[1] وهو مخدوش رغم انهم ذكروا بأن خروجها على أيام الرسول كان نادرا، ومن هنا نجد أن بعض الأعلام ذكر بأن الزوج إذا أذن لزوجته الخروج الى القتال صحّ منها الجهاد، ولا يخفى أن هذا يدلنا على جواز جهادها، ولكن ليس فرضا واجبا في حالة الهجوم، أما في حالة الدفاع فلا خلاف بان الجهاد فرض عليها كما على الرجل، وعليه فقهاء الفريقين.

ومما تجدر الاشارة اليه أن المرأة كانت تشارك في المعارك على عهد الرسول ﷺ ومن حكم بعده في جوانب قتاله، حيث أن الحرب ليست مجرد قتال ومنازلة، فان المشاركين لهم أدواراً مختلفة فمنهم من يحفظ الثغور، ومنهم من يقاتل، ومنهم من يراقب، ومنهم من يقوم بمهمات إستطلاعية، ومنهم من يقوم بالخدمات العامة والتطبيب، وتصليح ما اعطب في الحرب وهكذا، وقد أخذت المرأة دورها كاملا في هذا المجال على عهد الرسول ﷺ ومن حكم بعده[2].

---

(١) الفقه: ٤٧/ ٦٤.

(٢) وقد استمعت الى تقرير من فضائية «الجزيرة» عبر برنامجها «للنساء فقط» ليلة الثلاثاء ٢٥/ ٣/ ٢٠٠٣ م الساعة: ٧:١٥ مساء بتوقيت لندن، إن المرأة في الولايات المتحدة تشارك الرجل في الجيش ولكن يحظر عليها القتال وانما تقوم بأعمال أخرى في الجيش كالتمريض والسياقة وأمثال ذلك، واما القتال فلا يحق لها، وذكر بأن المرأة تشكل سدس الجيش الذي عُبّأ للضرب المحتمل على العراق في شهر آذار سنة ٢٠٠٣ م، والذي بلغ تعداده في ٢٥ شباط ٢٠٠٣ م مائتي ألف جندي.

وربما يكون دور المناضل في الصف الثاني أو الثالث أكبر ممن هو في الصف الأول وفي ساحة الحرب، ومن هنا نجد أن المسلمين كانوا يصطحبون نساءهم الى الحرب، وتناط لهن أدوارا مختلفة، منها: رعاية الجرحى وتطبيبهم، ومنها القيام بأعمال استطلاعية لصالح المسلمين، ومنها إعداد الطعام وجمع الحطب للمقاتلين، ومنها تشجيع المقاتلين بالتهليل والتكبير، وإعداد المحاربين، وهذه أدوار شريفة لا يمكن التنقيص من قيمتها، وربما شاركن القتال إن استوجب الأمر ذلك، والتاريخ يشهد لهن بذلك ومن تلكم النساء:

أم عطية[١] حيث تقول: «غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات وكنت اخلفهم في رحالهم، وأصنع الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى»[٢].

ومنهن أم عمارة[٣]، نسيبة بنت كعب المازنية التي شهدت غزوة أحد وبيعة الرضوان ويوم اليمامة وغيرها،

---

(١) أم عطية: نسيبة ـ بالتصغير ـ ابنة الحارث الانصارية، صحابية جليلة، روت عن الرسول ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وروى عنها أنس بن مالك، وآخرون، شاركت في غسل أم كلثوم ابنة الرسول ﷺ.

(٢) المرأة في حضارة العرب: ٢٧.

(٣) أم عمارة: هي نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف الانصارية من بني النجار، صحابية روت عن الرسول ﷺ شهدت احدا هي وابنها عبد الله وزوجها زيد بن عاصم، روى عنها حفيدها عباد بن تميم وآخرون.

وقاتلت مسيلمة الكذاب[1] مع أبيها، وقد قطعت يدها في هذه المعركة وجرحت اثنا عشر جرحا، وكانت في معركة أحد تسقي الضماء، وتأسوا الجرحى، وقامت تدافع عن رسول الله ﷺ حين هرب الرجال، فذهبت تصول وتجول بين يدي رسول الله ﷺ تنزع على القوس، وتضرب بالسيف دونه ﷺ حتى قال عنها الرسول ﷺ: «ما ألتفت يمينا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دوني»، ومن مواقفها أنها ضمدت أبنها عمارة ثم قالت له: قم يا بني فضارب القوم وجاهد في سبيل الله، وقد قال عنها رسول الله ﷺ أيضا: «ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة»[2].

ومنهن الخنساء[3] الشاعرة التي قدمت أربعة من بنيها في حرب القادسية، وقد خاطبت أبناءها بقولها: يابني إنكم أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين ووالله الذي لا اله إلا هو

---

(١) مسيلمة الكذاب: هو ابن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ولد في الجاهلية وتوفي سنة ١٥ هـ، ولد ونشأ باليمامة «الجبيلة» في نجد، قيل أسلم، إلا انه بعد ذلك ادعى النبوة، فعُرف بكذبه لهذا الادعاء، حتى جاء في المثل «أكذب من مسيلمة».

(٢) مسؤولية المرأة: ٧٤.

(٣) الخنساء: هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد السليمية «. . . ـ ٢٤ هـ»، شاعرة مخضرمة، قيل انها اشعر الناس في الرثاء، اسلمت مع قومها حين قدمت على الرسول الاعظم ﷺ الى المدينة، ويقال إن الرسول ﷺ ذكر بأنها أشعر الناس.

إنكم بنو إمرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم وخطابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] فإذا اصبحتم غدا ان شاء الله سالمين فأغدوا الى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظى سياقها وحللت نارا على اوراقها، فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند إحتدام خميسها تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة[2]؛ ولما استشهدوا قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة[3].

ولا ننسى مواقف فاطمة الزهراء عليها السلام في بعض غزوات الرسول صلى الله عليه وآله ومواقف ابنتها زينب الكبرى مع أخيها الحسين عليه السلام في معركة الكرامة بالطف، ومواقف عدد من النساء اللاتي شاركن في واقعة كربلاء الأليمة، وسنأتي على سيرتهن إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٢) أعلام النساء: ١/٣٦٨.

(٣) مسؤولية المرأة: ٧٨.

المرأة والحب

إن الحب حق مشروع وغريزة مودعة في الانسان من قبل باريه، وقد بنيت الحياة على الحب، ولولاه لما استقام حجر على حجر ولا قام شيء أبدا، فإنه الضمان الوحيد لاستمرار الحياة والعيش لكل شيء. قال الإمام الصادق عليه السلام: «وما الدين إلا الحب»، وعليه بناؤه إذ لو لم يكن المرء يحب الله لما أطاعه بحق، ولما استسلم لأوامره ونواهيه بصدق، والحب متبادل بين الله وعبيده حيث انه سبحانه وتعالى يحب عباده ولولا انه كذلك لما خلقهم، ولما انعم عليهم، ولما أرشدهم سبل الخير ولما استمر باللطف عليهم.

ومن مظاهر هذا الحب حب الزوجين فلولاه لما استقام هذا العش الذهبي إذ هو أساسه ورأسه وعليه بناء حياة الاسرة المقدسة، ولقد حرض الله المؤمنين على مثل هذا الحب، وطلب من المرء أن يظهره، إذ لا يكفي مجرد الحب دون

التظاهر به ففي حديث الرسول ﷺ: «وقول الرجل للمرأة احبك لا يذهب من قلبها ابدا»[1] وقد قال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. وإذا ما نظرنا بعمق الى مغزى الآية الكريمة: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[3] لما تجاوزت الاية من معنى الحب العميق الذي يلف الطرفين ليجعل منهما نفسا واحدة وهي حالة لا يشعرها الانسان الا عندما يرتقي به الحب الى مرقاه الاخير ويضم حبيبه الى نفسه ليتلابسا دون تمييز بينهما، فلا يعرف حينها من الزوج ومن الزوجة، وليس مثل هذا الحب الصادق الشريف عيبا بعدما جعله الرسول ﷺ من صفات الانبياء ـ خلقه السامي ـ حيث يقول: «من أخلاق الانبياء حب النساء»[4]، وقد قارن ﷺ حب الجنس الآخر بحبه للصلاة حين قال: «أُحبُّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني الصلاة»[5] وقد توسط حُب

---

(١) حقوق المرأة في النظام الاسلامي: ٨٣ عن وسائل الشيعة: ١٤/ ١٠.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٤) وسائل الشيعة: ١٤/ ٩.

(٥) هذا هو المعروف ولكن جاء في بحار الانوار: ٧٣/ ١٤١: «حبب الي من الدنيا ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني الصلاة»، وجاء ايضا: «حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة».

النساء بين حبين حب الطيب وحب الصلاة، ليكون حب النساء فيه الدين والدنيا. هذا وقد قال الامام الحسين عليه السلام في زوجته الرباب وابنته سكينة من الوافر:

لـــعـــمـــرك إنـــنـــي لأحـــبُّ دارا
تحـــلّ بهـــا ســـكـــينة والـــرّبـــاب

أحـــبـــهـــمـــا وأبـــذل جُـــلّ مـــالـــي
وليس لـــعـــاتـــب عـــنـــدي حـــســـاب

ولـــســـت لـــهـــم وإن عـــتـــبـــوا
مـطـيـعـا حـيـاتي أو يـغـيـبـني الـتـراب[1]

(١) دائرة المعارف الحسينية، ديوان الامام الحسين: ١/ ١٩٣.



الفــوارق

لا شك أن الاسلام جاء ليخلص البشرية جمعاء من الرذيلة بكل أبعادها ويعيشهم الفضيلة بكل ما في الكلمة من معنى وفي كل مناحيها، ومن تلك إنقاذ المرأة من الظلم والاضطهاد اللذان كانا يكتنفانها، حيث حكم بتساوي المرأة مع الرجل في الواجبات والحقوق، وهذا بالطبع لا يعني أنه جاء ليوحد المرأة والرجل ويجعلهما جنسا واحداً، حيث ان الفوارق العضوية والنفسية مفروضة وخارجة عن يد القدرة البشرية، ولا يمكن غض الطرف عنها وعدم المبالاة بها مادامت هي المميز بين الجنسين، بل ان عدم مراعاتها هو الظلم بعينه، إذ أن لكل جنس قدراته وخصوصياته، أما مسألة تكافؤ الفرص والتكريم وتساوي الحقوق والواجبات فهذا هو الذي جاء به الاسلام، وحث على عدم التمايز بينهما في جميع المجالات بحيث يصطدم بالواقع الخلقي [الفسيولوجي] أو النفسي [السيكولوجي]، والمساواة في الواقع هو عدم تفضيل الرجل على المرأة ولا العكس، أما أن

يراد به عدم وجود فوارق فهذا أمر غير حقيقي ولا يمت الى الواقع بصلة، والفوارق بين الجنسين كثيرة نذكر طرفا منها:

١ ـ **العظم**: إن عظام المرأة بشكل عام أخفّ وزناً وأصغر حجما من عظام الرجل، ومن المعلوم أن العظام فيها نتوءات بواسطتها ترتبط العضلات بالعظم، ومن الملاحظ أن هذه النتوءات هي اكبر حجما في عظام الرجل مما يجعل عضلاته أكثر وثوقا بالعظام، فلا تتعب بسهولة عند القيام بالاعمال الشاقة.

٢ ـ **التنفس**: يدخل الهواء الصدر بواسطة توسع القفص الصدري، ويتم ذلك عند الرجل من خلال عضلات الصدر وخاصة الحجاب الحاجز، فتنشأ عملية الاستنشاق، ويكون التنفس عند الطفلة الصغيرة بنفس الكيفية حتى إذا وصلت سن البلوغ أصبح تنفسها يعتمد على عضلات الصدر ويضعف حركات الحجاب الحاجز بكثير مما يحمي الجنين عند تكوينه من الضغط القوي.

٣ ـ **الكريات الحمر**: إن كمية الكريات الحمر عند الرجل أكثر منها عند المرأة بنسبة الخمس تقريبا، وينشأ عن هذا أن كمية الهيموغلوبين أكثر عند الرجل منها عند المرأة، وبما ان الكريات الحمر تنقل الاوكسجين عن طريق

الهيموغلوبين الى الانسجة، فيؤدي ذلك في النتيجة الى تلقي أنسجة الرجل أوكسجيناً أكثر من أنسجة المرأة مما يجعل الرجل أكثر إستعدادا للاعمال الشاقة والدوام عليها.

٤ ـ **الماء**: كمية الماء في جسم الرجل أكثر من كمية الماء في جسم المرأة، بينما الشحوم في جسم المرأة بشكل عام اكثر منها في جسم الرجل.

٥ ـ **الهواء**: إن كمية الهواء اللازمة للجسم أكثر عند الرجل من المرأة، وحجم صدر المرأة أقل من حجم صدر الرجل، وكذلك كمية الهواء الذي تستنشقه المرأة اقل من الرجل، ولهذا دور مهم في المظهر الرجولي والانثوي.

٦ ـ **النمو**: يتوقف نمو جسم المرأة في سن الثالث والعشرين من عمرها بشكل عام، في حين يتواصل نمو جسم الرجل الى سن الخامس والعشرين من عمره.

٧ ـ **الجمال**: إن المرأة اكثر جمالا من الرجل لطول العمود الفقري السفلي، وكذلك لوجود طبقات شحمية تحت الجلد لاخفاء نتوءات العظام وتعرجات العضلات، وصغر حجم الجمجمة، كل ذلك يضفي عليها جمالا لا يوجد عند الرجل.

٨ ـ **الحيض**: من الواضح أن المرأة تتعرض للدورة

الشهرية وما يرافقها من دم الاستحاضة وغيرها، وكمية دم الحيض تتراوح عادة بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ غرام وتنتابها عادة بعض نوبات الضيق.

٩ ـ **الرحم**: إنها تمتلك بيتا لخلق الجنين ونموه في جو ملائم للطفل.

١٠ ـ **الثدي**: إن هرمونات الثدي عندها قابلة للنمو أكثر من الرجل وتدر الحليب لارواء الطفل واشباعه.

١١ ـ **المني**: إن الرجل يمتلك المني ماء الحياة الذي يتكون منه الجنين بينما تمتلك المرأة البويضة.

١٢ ـ **الآلة التناسلية**: يختلف شكلها وحجمها وتركيبتها وتأثيراتها.

١٣ ـ **القراءة**: توصل الباحثون الامريكيون الى أن هناك فرقا في طريقة استخدام الرجال والنساء لأدمغتهم أثناء القراءة.

١٤ ـ **الدماغ**: وصلت الابحاث الحديثة الى وجود فوارق في وظيفة الدماغ عند الرجل والمرأة من حيث التحكم في العواطف والادراك، وكشفت الدراسة التي تناولت التغييرات الكيميائية في عدد من أدمغة الرجال والنساء الى وجود اختلاف في نشاط أدمغة الاناث والذكور في الاستجابة

للمؤثرات العاطفية، وتصنيف الدراسة: إن الرجال أظهروا نشاطا أقوى في مناطق شبكة المخ الهامشية مما يؤدي الى استجابة عملية، أما أدمغة النساء فهي أكثر نشاطا في المناطق الاحدث تطورا والاكثر تعقيدا في تلك الشبكة مما نتج عنه استجابة رمزية، وأخيرا فإن الدراسات عن هذه توصلت الى ان الرجال والنساء يعيشون في عوالم مختلفة[١].

١٥ ـ **درجة الحرارة:** تختلف درجة حرارة المرأة عن الرجل.

١٦ ـ **القوى:** حيث إنها اضعف من الرجل، إذ يقول برودون[٢] لدى بحثة عن نزول المرأة الى ساحة العمل: «إن نسبة مجموع قوى الرجل الى مجموع قوى المرأة كنسبة ثلاثة الى اثنين»[٣] ويعلق على تحرير المرأة الى هذا الحد الذي

---

(١) مجلة الطاهرة الطهرانية: ١٣٧ / ١٦، التارخ ١٤٢٣ هـ(٢٠٠٢ م)

(٢) برودون: بيير جوزف ١٢٢٤ ـ ١٢٨٢ هـ(١٨٠٩ ـ ١٨٦٥م) فيلسوف اشتراكي فرنسي يعتبر ابرز صانعي الفكر الاشتراكي، وهو صاحب مذهب الاتجاه البورجوازي الصغير، المعادي للماركسية، فقد حلم برودون بالملكية الصغيرة، واقترح انشاء بنوك الشعب ليمتلك العمال بواسطتها وسائل الانتاج.

(٣) يذكرني في قوله: بتجربة حصلت لي في احدى مستشفيات لندن حين ولادة ابنتي الثانية، حيث إضطررنا الى إخضاع الام لعملية قيصرية للولادة، وبما أنها طلبت خلوّ غرفة العمليات من الرجال تماما وطلبت مني ان اصحبها، وقد حاولوا نقلها من سرير الى آخر بواسطة أربعة ممرضات إلا انهن لم يتمكن من ذلك فاستعانوا بي وقالوا: عادة إن الرجال يقومون بذلك، وكنت الى آخر الوقت معينا لهن فيما يستعصي عليهن من حيث استخدام القوة.

نراه اليوم: «إن التحرير الذي يطلبه بعضهن باسمهن هو تسجيل الشقاء عليهن تسجيلا قانونيا إن لم اقل تسجيل العبودية»[1].

١٧ ـ **إنبات الشعر**: يختلف من مكان الى آخر وهناك فوارق في نوعيته أيضا.

١٨ ـ يذكر الاطباء بأن متوسط وزن مخ الذكر يزيد على متوسط وزن مخ الانثى بمقدار مائة غرام.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٣/٣٣٨، عن إيجاد النظام لبرودون.

لطائف وحكم

وحتى لا تخلو هذه المقدمة التمهيدية[1] من بعض اللطائف والحكم في دنيا المرأة انتخبنا بعض الأشعار والأمثال والحكم واللطائف لتكون بمثابة روضة من رياض ذلك الجنس اللطيف الذي هو نعمة من الله للبشرية فيما إذا وضع في موضعه اللائق وإلا كان نقمة انقلبت عليه، وما على الانسان إلا أن يشكر الخالق بحسن التصرف وعرفان الجميل.

* قال أحد الشعراء[2] في فلسفة الحجاب للمرأة من الكامل:

ما الدر وهو مجرد عن حرزه

بمقدّر كالدرّ في الأصداف

---

(١) حيث أن سماحة المؤلف قد وضع هذا الموضوع كمقدمة تمهيدية لمعجم الأنصار قسم النساء من موسوعته الخالدة دائرة المعارف الحسينية، وقد نوهنا الى ذلك في البداية ـ المعدّة.

(٢) الشاعر هو الشيخ حسين العاملي.

وتـصـان بـالـسـتـر الـثـمـار وتـغـتـدي
بـبـروزهـا فـي مـعـرض الاتـلاف[1]

* ومن الطرائف التي تذكر انه سئل زيد بن حبيب[2]: إذا دخل المسجد بأي رجليه يبدأ؟ قال: أما سمعت ما يقال للعروس: ضعي رجلك اليمنى على المال والبنين[3].

* ويذكر أن جدنا الاكبر الامام الشيخ ابراهيم الكرباسي[4] كان معروفا بالزهد والتقى فكان يحتاط في عقد الزواج بين الطرفين ويشترط أن يكونا متكافئين في الايمان، فكان إذا أراد عقد إمرأة من رجل سألهما عن المسائل العقائدية وأدلّتها قبل أن يعقد عليهما، وذات مرة عندما حضرت عنده إحداهن وبدأ يسألها عن المسائل العقائدية فلما طال موقفها، قال: «لا ادري أهي ليلة عرسي أم دفني»، في إشارة الى سؤال المنكر والنكير في القبر[5].

* ويقال إن معاذة زفت الى صلت بن أشيم فبات ليلة

---

(١) الحجاب سعادة لا شقاء: ١٥٥.
(٢) زيد بن حبيب: حفيد سلامة القضاعي(٣٥٨ ـ ٤٣٣ هـ) من أهل الاسكندرية، ومن علماء الشافعية ومحدثيها، يكنى بابي عمر، له كتاب «الفرائد» وهو في الحديث.
(٣) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٤.
(٤) ابراهيم الكرباسي: هو محمد إبراهيم بن محمد حسن بن محمد جعفر الاشترى النخعي(١١٨٠ ـ ١٢٦١ هـ) من أعلام الامة وفقهائها، من مؤلفاته: الاشارات، شوارع الهداية، وهداية المسترشدين.
(٥) حياة الامام الكرباسي (مخطوط).

الزفاف يتهجد، فسأل عن ذاك فقال: دخلت بيتا فذكرت النار ـ أراد بالبيت الحمّام ـ، ثم دخلت بيتا فذكرت الجنة ـ أراد بالبيت بيت العروس ـ فما زال فكري فيهما حتى أصبحت[1].

* وقال القاضي عياض[2] يصف اندماج الحبيبين، من الوافر:

رأت قمر السماء فذكرتني
ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرا قمرا ولكن
رأيت بعينها ورأت بعيني[3].

* ومن لطائف الازواج: أن بعض الملوك كانت عنده ثلاث نسوة، فسأل أي وقت هذا؟ فقلن وقت السحر.

فقال: وما يدريكن؟

قالت الفارسية: وجدت ريح الرياحين.

---

(١) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٥.
(٢) القاضي عياض: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي(٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ) من علماء المغرب وأئمة الحديث فيها، ولي قضاء سبتة وكان مولده فيها، ثم تولى قضاء غرناطة، توفي مسموما بمراكش، له مشارق الانوار، الالماع، وترتيب المدارك.
(٣) نفح الازهار: ٩.

وقالت العربية: وجدت برد خلخالي.

وقالت النبطية: كزّني ما في بطني[1].

* وجاء في المثل: أن النساء شقائق الاقوام[2] [أي شقائق الرجال].

* وقال مصعب بن الزبير[3] لإحدى زوجاته: أنت مثل البغلة لا تلدين، فردت عليه: لا والله، ولكن أبى كرمي أن يقبل لؤمك[4].

* وصف بعضهم المرأة مخاطبا لها من البسيط:

أنت الجحيم لقلبي والنعيم له
فما أمرّك في قلبي وأحلاك[5]

* يذكر عن زوجين متآلفين أجبرتهما ظروف قاهرة خارجة عن إرادتهما على الطلاق فسجل التاريخ آخر حوار لهما بعد الطلاق وأرادت المرأة أن ترحل، فقال لها:

---

(١) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٢.
(٢) فرائد الادب [المنجد في اللغة]: ١٠١.
(٣) مصعب بن الزبير: هو حفيد العوام بن خويلد الاسدي القرشي(٢٦ ـ ٧١ هـ) ولي العراق من قبل أخيه عبد الله بن الزبير، وقاد الجيوش ضد المختار الثقفي وغيره، وقتل في حربه مع عبد الملك الاموي.
(٤) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٢.
(٥) نفح الازهار: ١٥.

إسمعي وليسمع كل من حضر: إني والله إعتمدتك رغبة وعاشرتك بمحبة، ولم توجد منك زلة، ولم تدخلني منك ملة، ولكن القضاء كان غالبا، فقالت: جزيت خيرا من صاحب ومصحوبة، فما استرثت خيرك، ولا شكوت ضيرك، ولا تمنيت غيرك، ولم أزد إليك إلا شرها[1]، ولم أجد لك في الرجال شبها، وليس لقضاء الله مدفع ولا من حكمته علينا ممنع[2].

* قال علي عليه السلام: المرأة ريحانة وليست بقهرمانة[3].

* ويوصي خالد بن صفوان المنقري[4] من أراد الزواج بقوله من الطويل:

عليك إذا ما كنت لابد ناكحا
ذوات الثنايا بالغُر والاعين النجل
وكل هضيم الكشح خفافة الحشا
قطوف الخطا بلهاء وافرة العقل[5]

---

(١) شره الى الطعام: اشتد ميله اليه فهو شره، ارادت لم ازد اليك الا ميلا.

(٢) ربيع الابرار: ٢٨٧.

(٣) بحار الانوار: ١٠٠/٢٥٢.

(٤) خالد بن صفوان المنقري: هو ابن الاهتم خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الاهتم، ولد في القرن الاول الهجري وتوفي سنة ١٣٣ هـ، كان من فصحاء العرب المشهورين، ولد ونشأ في البصرة، ولم يتزوج، وله كلمات شاعت إشاعة المثل.

(٥) ربيع الابرار: ٤/٢٨٨.

* وكنت صديقاً لأحد أقاربي فوجدته تزوج عن حبّ، رغم معارضة والديه، واختلف بسبب مكانته الاجتماعية، فطلق عن ود، وذهبا للمحكمة دون أن يشعر بهما أحد لينفصلا، الا انهما اختلفا في وقت الطلاق فرجعا، ثم لما اتفقا طلّقا وبقيا كأصدقاء، رغم أن كلا منهما تزوج، ولكن كلا الطرفين بقي كل منهما سندا للاخر، ولكن قاتل الله الظروف[1].

* وقيل للاسكندر[2]: لو استكثرت من النساء ليكثر ولدك، ويدوم بهم ذكرك، فقال: دوام الذكر بتحسين السيرة، والسنن، ولا يحسن بمن غلب الرجال أن تغلبه النساء[3].

* وقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[4]. وقال عز من قائل: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[5].

---

(١) مذكرات المؤلف.

(٢) الاسكندر: هو الكبير الملقب بذي القرنين، ولد في مقدونيا سنة ١٠٠٩ق.هـ (٣٥٦ق.م) وتوفي في بابل سنة ٩٧٦ق.هـ (٣٢٤ ق.م)، كان من الملوك الذين توسع في مملكته وبنى الاسكندرية في مصر وشمل حكمه مصر والعراق وإيران والهند وغيرها.

(٣) ربيع الابرار: ٤/ ٢٩١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤١.

* يقال إن التفاهم أساس التعايش، وهذا يذكرنا بقصة تروى عن السيد الحميري[1] أنه التقى «فرجة بنت الفجاء»[2] الخارجية وهي راكبة فرسا، وكانت فرجة فصيحة جميلة، فتحاورا أحسن حوار الى أن خطب اليها نفسها فقالت: أعلى ظهر الطريق؟ فقال: ألم يكن نكاح أم خارجة أسرع؟ فاستضحكت وقالت تصبح وننظر ممن، فقال الحميري من البسيط:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلا
في ذروة العز من أحياء ذي يمن
إني امرؤ حميري حين تنسبيني
جدّي رعين واخوالي ذوو يزن

فعرفته وقالت: يماني، وتميمية، ورافضي وحرورية، كيف يجتمعان؟

فقال: على أن لا نذكر سلفا ومذهبا[3] فتزوجها وأقاما في عيشة راضية[4].

---

(١) السيد الحميري: هو اسماعيل بن محمد يزيد بن ربيعة بن مفزع (١٠٥ ـ ١٧٣هـ) من أعلام شعراء الامامية، ومن أكثرهم نظما، وكان مجاهرا بحبه لاهل البيت عليهم السلام، له ديوان شعر، جمع بعض ما عثر من شعره.
(٢) فرجة بنت الفجاء: كانت من ذوي الكمال والجمال إفتتن بها السيد الحميري ولكنها كانت على مذهب الخوارج الذين يعادون عليا وأهل بيته الاطهار عليهم السلام.
(٣) حيث كان بين القبيلتين خصام قديم، وكان الحميري على مذهب اهل البيت عليهم السلام وكانت فرجة من الخوارج الحرورية.
(٤) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٩.

* الحب القاتل في شعر أبي العتاهية[1] من السريع:

لم يبق مني حبها ما خلا

حشاشة في بدن ناحل

يا من رأى قلبي قتيلا بكى

من شدة الوجد على القاتل[2]

* قال النبي داود عليه السلام: إمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير، والمرأة الصالحة له كالتاج المخوص بالذهب، كلما رآها قرت عينه[3].

* تزوج أحد المكفوفين بإمرأة على أنها بكرا فتبين له أنها لم تحافظ على عفتها، وقررا أن ينفصلا رغم إصرار الزوجة بالستر عليها، ولكن الزوج أصرّ على الانفصال إلا أنهما اتفقا على صيغة معينة تحفظ كرامتها، ولكن صديقات السوء إستدرجن الزوجة فباحت بسرها، فانتشر الخبر وكان ما كان من أمرها مما لا يحمد عقباه، فاعتبر صديق المكفوف وتعهد مع نفسه أن يتعالى عن ذلك فيما لو حصل له ما شبه

---

(١) ابو العتاهية: هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي [١٣٠ ـ ٢١١ هـ] نسبته الى عنزة بالولاء، شاعر مشهور، مكثر النظم، سريع الخاطر، جمع شعره في ديوان.

(٢) نفح الازهار: ٢٦.

(٣) ربيع الابرار: ٤/ ٢٩٠.

ذلك حفظا لكرامتها وذلك في سبيل الله، وما أن تزوج ذلك الصديق إلا وأنعم الله عليه بمن هي أطهر من العفة وقد أنعم الله عليه بامرأة مثالية ذات خلق رفيع لا تعاب بشيء، وما كان منه إلا أن شكر الله على ذلك[1].

* وفي الحديث: تنكح النساء على أربع: الجمال، والنسب، والمال، والدين، فمن نكح للجمال عاقبه الله بالغيرة، ومن نكح للنسب عاقبه الله بالذل، فلا يخرج من الدنيا حتى يكسر جبينه، ويشج وجهه، وتخرق ثيابه وجيبه عليه، ومن نكح للمال لم يخرجه الله من الدنيا حتى يبتليه بمالها، ثم يقسي قلبها عليه فلا تعطيه قليلا ولا كثيرا، ومن نكح للدين أعطاه الله المال والجمال والنسب وخير الدنيا والاخرة[2].

* إختار الابن لنفسه إمرأة صالحة فوافق أبوه على ذلك قائلا له: إن أباها سيشدّ ظهرك، أراد أنه غنيّ يعينك على معيشتك، فمضت الايام والليالي ولم تتجاوز السنة أو تجاوزتها قليلا إلا واضطر الزوجان على الهجرة، ودارت الايام حتى توفي أبويهما ووقعت الهجرة بين العائلتين، ولم

---

(١) مذكرات المؤلف.

(٢) ربيع الابرار: ٤/ ٣٠٦.

يحصل الزوجان على ميراثهما من الابوين، ولكن الله أنعم عليهما فلم يكونا بحاجة الى مال أبويهما، وكانا عونا لابناء ذلك الاب الصالح والغنيّ دون العكس وذلك بفضل نيّة الزوج على الزواج من فتاة عفيفة مؤمنة، وخلافا لمقولة الاب الذي قال إن أباها سيشدّ ظهرك، ولله الأمر من قبل ومن بعد[1].

* يقول أبو شمر الغساني[2] عن خيانة الرجل وضرورة عدم الاختلاط ـ من الكامل ـ:

لا تأمنين على النساء أخا أخ
ما في الرجال على النساء أمين

حر الرجال وإن تعفف جهده
لابد أنْ بنظرة سيخون[3]

* ويخاطب شاعر آخر المرأة ويحثها على الحجاب والعفاف، من الخفيف قائلا:

واجعلي شيمة الحياء خمارا
فهو بالغادة الكريمة أولى

---

(١) مذكرات المؤلف.

(٢) أبو شمر الغساني: هو والد الحارث الغساني، كان من أمراء غسان في أطراف الشام والمتوفى سنة ٨ هـ، أدرك الابن الاسلام وأرسل اليه الرسول ﷺ كتابا.

(٣) ربيع الابرار: ٤/ ٢٨٥.

والـبـسـي مـن عـفـاف نـفـسـك ثـوبـا

كـل ثـوب سـواه يـفـنـى ويـبـلى[1]

* يقال إن عامر بن الحصين[2] نظر الى رجل شجاع فأعجبه، وتزوج أخته طمعا في أن ينزع ولدها اليه، فابتكرت بجارية فقال: الحمد لله، ثم ثنت بأخرى فقال: الحمد لله، ثم ثلثت، فقال: الحمد لله، ثم ربعت، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله[3].

* قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «خير نسائكم العفيفة في فرجها، الغلمة[4] لزوجها»[5].

* وقال أبو الأسود الدؤلي[6] في وصية لبنيه: يا بَنيَّ

---

(١) الحجاب سعادة لا شقاء: ١٥٧.

(٢) عامر بن حصين: لم نعثر على ترجمته في مظانه وفي معظم المعاجم التي لدينا، وربما كان عامر بن حفص المتوفى عام ١٩٠ هـ والذي يلقب بسخيم ويكنى بأبي اليقظان، العالم بالاخبار والانساب وصاحب المؤلفات والتي منها: كتاب النوادر، كتاب النسب، وكتاب خندف واخبارها.

(٣) ربيع الابرار: ٤ / ٢٨٤.

(٤) غلم: كان منقادا للشهوة.

(٥) جاء في ربيع الابرار: ٤/ ٢٩٨ مرويا عن الامام علي عليه السلام، وجاء في بحار الانوار: ١٠٠/ ٣٧ مرويا عن الرسول صلى الله عليه وآله.

(٦) أبو الاسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني(١ ق. هـ - ٦٩ هـ)، سكن البصرة ومات بها، وضع علم النحو وعلوم أخرى بأمر من الامام علي عليه السلام كان من الفقهاء والمحدثين، والشعراء والادباء، ولاه الإمام عليه السلام على البصرة.

أحسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، قالوا: يا أبانا، قد علمنا إحسانك صغارا وكبارا أفرأيت أن تبين لنا قبل أن نولد؟ قال: قد طلبت لكم موضعا في النساء لكي لا تعيروا[1].

* قال النبي ﷺ: لا يفرك[2] مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي آخر[3].

* وقال علي عليه السلام: جهاد المرأة حُسْنُ التَبَعُّل[4].

* صادف أن تزوج رجلا في بلاد الغربة من غير بني قومه فلم يكن قادرا على التخاطب، فطلب من بعض أصدقائه أن يترجموا له ما يحتاجه من المفردات لليلة زفافه، إلا أن لغة التكامل غلبت لغة الخطاب[5].

* قال علي عليه السلام: صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها[6].

* وأخيراً، فالمرأة زهرة إن أوليتها اهتمامك استقبلتك بثغرها الباسم واستمتعت بطيبها النافح، وإن أدبرت عنها ذبلت وأذبلتك، وأصبحت حياتك كالليل الدامس.

---

(١) ربيع الابرار: ٤/ ٣٠٦.
(٢) الفرك: ضد العشق.
(٣) حقوق النساء في الاسلام: ٣٩.
(٤) ربيع الابرار: ٤/ ٢٩٥.
(٥) مذكرات المؤلف.
(٦) غرر الحكم: ٤/ ٢٠٠.

الاوصاف والمراحل

إن هذا الجنس اللطيف كالجنس الخشن، له مراحل يطويها منذ الولادة لتصل حد العجز والشيخوخة، واللغة العربية خصصت لكل مرجلة من تلك المراحل عنوانا خاصا ليميزها عن غيرها من مراحل الحياة، بل إن اللغويين لم ينسوا المرأة في ذكر أوصافها والنعوت التي وصفت بها جراء ما يرافقها من تغييرات وتحولات في سمة من سماتها، وهي في الواقع كثيرة إلا أننا نكتفي ببعض منها، ربما وصفت إحداهن بوصف أو نعت في مطاوي النصوص التي سنوردها ليكون القارئ قد تعرّف عليها من ذي قبل، ونستعين في ذلك بما أورده الثعالبي[١] في ذلك، حيث يقول عن ترتيب سنيّ الانثى:

---

(١) الثعالبي: هو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ) المكنى بأبي منصور، أديب ناثر، ولغوي ناظم، له مجموعة من المؤلفات: سحر البلاغة، يتيمة الدهر، وثمار القلوب.

هي: طفلة ما دامت صغيرة.

ثم: وليدة إذا تحركت.

ثم: كاعب إذا كعب ثديها.

ثم: ناهد إذا زاد.

ثم: مُعْصر إذا أدركت.

ثم: عانس إذا ارتفعت عن حد الاعصار.

ثم: خَوْد إذا توسطت الشباب.

ثم: مُسْلِف إذا جاوزت الاربعين.

ثم: نَصَف إذا كانت بين الشباب والتعجيز.

ثم: شَهْلَة كَهْلة إذا وجدت مس الكبر وفيها بقية وجلد.

ثم: شَهْبَرة إذا عجزت وفيها تماسك.

ثم: حَيْزَبون إذا صارت عالية السن، ناقصة القوة.

ثم: قَلْعَم وَلِطْلَطْ إذا انحنى قدّها وسقطت أسنانها[١]

* وأورد الثعالبي عن أوصافها ونعوتها ما يلي:

ـ فإذا كانت شابة حسنة الخلق فهي خود.

---

(١) فقه اللغة: ٨٤.

ـ فإذا كانت جميلة الوجه غضة، ناعمة البشرة فهي بَهْكَنة وَبَضّة.

ـ فإذا كانت حَيِيّة فهي خَفِرَة وَخَريدَة.

ـ فإذا كانت منخفضَة الصوت فهي رَخيمَة.

ـ فإذا كانت مُحِبَة لزوجها متحببة اليه فهي عَروب.

ـ فإذا كانت نفورا من الريبة فهي نوار.

ـ فإذا كانت تجتنب الاقذار فهي قَذور.

ـ فإذا كانت عفيفة فهي حصان.

ـ فإذا أحصنها زوجها فهي محصنة.

ـ فإذا كانت عاملة فهي صناع.

ـ فإذا كانت خفيفة اليدين بالغزل فهي ذراع.

ـ فإذا كانت كثير الولد فهي نَثور.

ـ فإذا كانت قليلة الاولاد فهي نَزور.

ـ فإذا كانت تلد الذكور فهي مذكار.

ـ فإذا كانت تلد الاناث فهي مئناث.

ـ فإذا كانت تلد مرة ذكرا ومرة أنثى فهي معقاب.

ـ فإذا كانت لا يعيش لها ولدا فهي مِقْلات.

- فإذا ولدت أحمق فهي مُحْمِقَة.

- فإذا أتت بتوأمين فهي مِتْآم.

- فإذا كانت تلد الحمقى فهي مِحماق.

- فإذا كان لها زوج ولها ولد من غيره فهي لَقُوت.

- فإذا مات زوجها فهي مُراسل.

- فإذا مات ولدها فهي ثَكول.

- فإذا تركت الزينة لموت زوجها فهي حادٌّ وَمُحِدّ.

- فإذا كانت غير ذات زوج فهي أيِّمْ وعزبة وأرملة وفارغة.

- فإذا كانت ثيبا فهي عَوان.

- فإذا بقيت في بيت أبويها غير متزوجة فهي عانس.

- فإذا كانت عروسا فهي هَدِي.

- فإذا كانت جليلة تظهر للناس ويجلس اليها القوم فهي بَرَزَة.

- فإذا كانت نصفاء عاقلة فهي شهلة كَهْلَة.

- فإذا أقامت على ولدها بعد زوجها ولم تتزوج فهي مشبله.

- فإذا أرضعت ولدها ثم تركته لتدرجه الى الفطام فهي مُعَفِّرة.

- فإذا كانت نهاية في السمن والعظم فهي قُمْعَلَة.

- فإذا كانت لا تختضب فهي سَلْتاء.

- فإذا كانت حديدةُ اللسان فهي سَليطَة.

- فإذا زادت سلاطتها وأفرطت فهي سَلْقانة وعَزْقانة.

- فإذا كانت شديدة الصوت فهي صَهْصَلِقٌ.

- فإذا كانت جرية قليلة الحياء فهي قَرْثَعٌ بَلْهاء.

- فإذا كان بذية وقحة فهي سَلْفَعة.

- فإذا كانت تتكلم بالفحش فهي مَجِعَة.

- فإذا كانت تلقي عنها قناع الحياء فهي جَلِعَة.

- فإذا كانت شديدة الضحك فهي مِهْزاق[١].

ويضيف قائلا:

- إذا كانت ضخمة وهي على اعتدال فهي رَبَحلة.

- فإذا زاد ضَخْمها ولم يُقبح فهي سِبَحلة.

---

(١) فقه اللغة: ١٤٩.

ـ فإذا دخلت في حدٍّ ما يُكره فهي مُفاضَة وَضِناك.

ـ فإذا أفرط ضَخْمها فهي عَفْضاج[1].

هـذا وقـد أطـلـق الـرسـول الاعـظـم ﷺ وأهـل بـيـتـه الأطهار عليهم السلام كلمات تنبىء عن تكريمها حيث قالوا: إنها ريحانة، ونعمة، ورحمة. فما أعظم هذه الكلمات في حقها، بينما كانوا يتعاملون معها في الجاهلية بكل قساوة ومهانة، والى ذلك يشير القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[2].

---

(١) فقه اللغة: ٢٨.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

مفردات أخرى

هناك مفردات تستخدم في شقيق الرجل لم ترد في المقطع السابق فلابد من الاشارة اليها ولو بايجاز وهي: المرأة، النساء، الانثى، السيدة، الانسة، الجنس الاخر، الجنس اللطيف، الجنس الناعم، ولا بأس بالاشارة الى معانيها اللغوية والاصطلاحية وبإيجاز.

١ ـ **المرأة:** مؤنث المرء، مثلث الميم، والمراد به الانسان، أو شخصه، وكذلك الإمرأة، مؤنث الامرء وهو الانسان، أو شخصه، وعلامة الإعراب في الامرء بثبت الهمزة على الحروف الثلاثة الهمزة للنصب، والياء في حالة الجر، والواو عند الرفع، وبالاستقلال عند السكون، وهذا ما شاع خلافا للمختار الذي نرى باستقلالية الهمزة كغيرها من الحروف لتكون الحركة علامة الإعراب، فتكتب كحالة سكون الهمزة هكذا «امرء»، وتظهر الحركات الثلاث مع السكون على الهمزة، ولا حاجة لثبت الهمزة على شيء.

وعلى أي حال فالمرأة والامرأة مفردتان لا جمع لهما من جنسهما وتجمعان على نساء ونسوة.

٢ ـ **النساء**: بكسر النون وهي جمع المرأة من غير لفظها، ولها مرادفات أي أن المرأة والامرأة تجمعان نساء ونسوة بكسر النون وضمه أيضا، وعلى نسوان بالكسر، وعلى النِسون بالكسر، وعلى النِسنين بالكسر.

٣ ـ **الانثى**: بضم أوله وسكون ثانية، وهو خلاف الذكر، ويجمع على إناث بالكسر وأناثي بالفتح، وجمع الجمع يأتي على أنث بضمتين، والمؤنث يقابله المذكر، فالاول اسم جنس والثاني اسم نوع.

٤ ـ **السيدة**: مؤنث السيد وهي بفتح السين وتشديد الياء المكسورة وهو رئيس القوم وشريفهم، وجمع السيد: سادة وأسياد وسيائد، وجمع الجمع منه سادات، وجمع السيدة يأتي على سيدات، ويطلق السيد والسيدة على كل من المذكر والمؤنث من باب الاحترام والتجليل، وفي مقابل هذا التعميم فهناك تخصيص السيد والسيدة لمن كان من الاشراف من نسل الرسول ﷺ عبر فاطمة الزهراء عليها السلام ولكن المقصود بهما هنا هو مطلق الرجل والمرأة بغرض التكريم والتبجيل، وقد شاع استخدامهما بهذا المعنى في هذه الايام.

٥ ـ **الآنسة**: بمد الهمزة وكسر النون من آنس يؤانس مؤآنسة من باب المفاعلة الدال على وقوع الفعل من الطرفين كما في ضارب يضارب مضاربة، جذره يعود الى الانس بضم الهمزة وسكون النون وهو ضد الوحشة، وآنسه بمعنى لاطفه وآلفه وسلاه، واسكن قلبه، والآنسة هي المرأة الطيبة النفس والجمع أوانس وآنسات.

واصطلح في عصرنا إطلاق الانسة على الفتاة غير المتزوجة، وأما في اصل الوضع فلم يؤخذ هذا الامر بعين الاعتبار بل أريد من المفردة: المرأة التي يؤنس بحديثها أو يسكن اليها قلب الرجل، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾[1].

٦ ـ **الجنس الاخر، الجنس الناعم، الجنس اللطيف**: كلها مصطلحات حديثة استخدمت في المرأة كمصطلح أدبي جديد، أريد من الاول الجنس الاخر في قبال الذكر «الرجل»، وهو اصطلاح غير محبّذ، لأن فيه جرح لمشاعر المرأة حيث يفهم منه أن الاصالة للرجل فتكون الانثى هي الجنس الاخر المتفرع من الرجل، وربما كان هذا الامر صحيحا من حيث الخلقة، فالمتفق عليه في الشرائع

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

السماوية: أن الله خلق آدم أولا ثم خلق منه حواء، لكن من ناحية اخرى فإن القانون الالهي بعد ذلك تمثل في كون الانثى هي مصدر للرجال والنساء فالام هي التي تحبل وتلد دون الاب، وان نوقش هذا بأن المرأة ليست الا ظرفا للبنات والبنين ولا دخل لها في تحديد الذكر والانثى بمعنى أن منيّ الرجل بما يحمله من الصبغيات يحدد الانوثة والرجولة، دون بويضات الزوجة[1]، ومع هذا فإنه لا يمكن انكار دور الام بشكل اعتيادي وطبيعي بأنها مصدر الجنسين، ومن هنا سميت بالام، ولا ننسى أن عيسى ولد دون أب، فكان له أما ولم يكن له ابا.

وفي الواقع أن هذه مجرد مناقشات بعيدة عن الموضوع الذي نحن بصدده فلذلك لا مجال للتوسع فيها.

وأما الجنس الناعم وكذلك اللطيف: فهما اسمان على مسمى، لانه لا يمكن إنكار نعومة المرأة ولطافتها في قبال الجنس الخشن [الرجل] والذي عادة يكون أضخم من المرأة، والمراد بالنعومة نعومة الملمس والمراد باللطافة الرفق والرقة، حيث أن معاملة المرأة وممارستها تتم برفق، كما أن

---

(١) راجع المقدمة التمهيدية لباب الحسين العظيم في القران الكريم من هذه الموسوعة.

الملاحظ على تركيبتها الجسدية هو الدقة وليس فيها خشونة الرجل وكثافته، هذا بشكل عام، إذ رُبَّ رجل يكون ناعما في ملمسه ولطيفا في تركيبته الجسدية، ولطيفا يتعامل برفق في ممارسته اليومية، وهناك من النساء من تميل الى الخشونة والضخامة ولكن ذلك لا يعد متعارفا.

وهناك مفردات أخرى تستخدم في مراحل حياة المرأة مثل الصبية والفتاة والشابة والمراهقة، وما الى ذلك، فإنها في الحقيقة جاءت من تأنيث المفردات التالية: الصبي والفتى والشاب والمراهق، وهي كثيرة لها مدلولاتها في استخدامها في الجنسين وليست خاصة بالانثى، وقد بحثنا ذلك في مطاوي الموسوعة فلا نكرر[١].

(١) يلاحظ أن الباحث الكرباسي يسهب في هذة المباحث استنادا الى المصادر اللغوية اسهابا قد يخرج البحث عن مقاصده مما، يدفع بالابتعاد عن فكرة البحث الذي يتناول موضوعة المراة وعلاقة الموضوعة بالامام الشهيد الحسين عليه السلام ولكن بما أنه لا يريد في مطاوي البحث عن مدلولات هذه المفردات وتتكرر، فقد قدمها على البحث ـ المعدة ـ .



إن الاسلام كرّم المرأة باستقلاليتها في الرأي والعمل، وخلصها من نظام التبعية التي كانت سائدة وربما لازالت التبعية شائعة في بعض القبائل، أو الحضارات، وفي العرض السريع نبيّن موارد ذات أهمية لحياة المرأة مما منحها الاسلام الحق في استقلالية القرار ولا يخفى أن استقلالية القرار هو الاصل، والتبعية تحتاج الى دليل، ومع هذا فان في بيان بعض الموارد فرصة لفهم الاسلام، ونظرته الشمولية والاستقلالية في شأن المرأة، إن كلما يرتبط بالزوج من الوقت والسمعة فليست حرة فيه تماما، حيث له تأثير على الحياة المشتركة التي وقعت عليه سلفا، ولكن في غير ذلك فهي مستقلة في القرار، ومن تلك:

١ ـ **قرار الزواج:** لا يحق لاي أحد مهما كان أن يسلبها هذا الحق، وقد كانت المرأة في الجاهلية لابد لها الإذعان الى رغبة الأب، وليس لها الحق في الرد أو القبول

فيما إذا اختار الاب لها الزوج، ولا زال هناك من يتعامل على هذا الاساس مع الاسف، وربما روّج أعداء الاسلام هذا طعنا بالعقيدة الاسلامية، ولكن هناك رواية صريحة يرويها ابن عباس حيث يقول: إن جارية بكرا جاءت الى النبي ﷺ فقالت: إن أبي زوجني من إبن أخ له، ليرفع خسيسته، وأنا له كارهة. فقال ﷺ: أجيزي ما صنع أبوك. فقالت: لا رغبة لي فيما صنع أبي. قال ﷺ: فاذهبي فانكحي مَنْ شئتِ. فقالت: لا رغبة لي عن ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للاباء في أمور بناتهم شيء[1].

غاية ما هناك على البنت الباكر أن تستشير أباها في من تختاره لتستفيد من خبراته، وأن لا تقع في جهالة، وإن لم تستشره صحّ العقد، ولكنها فعلت حراما ـ على المختار ـ، هذا إن كان الاب قد راعى مصلحتها.

٢ ـ **الاستقلالية في المال**: في بعض الحضارات إذا تزوج الرجل بالمرأة فإنها تشاركه في كل صغيرة وكبيرة من أمواله من يوم عقد عليها، ولكن الاسلام أعطى كلا من الزوجين الاستقلالية في حفظ أمواله، والتجارة فيها والتعامل معها، وليس لاحدهما الحق في التصرف في مال غيره من

(١) سنن ابن ماجة: ١/ ٥٧٨.

دون إذنه، وإذا انفصلا فلكل ماله، وبذلك يحافظ الاسلام على كيان كل واحد منهما.

٣ ـ **التبعية مرفوضة**: جرت القوانين الوضعية والانظمة المدنية على أن تتبع المرأة بعد الزواج لزوجها في تحملها اسم عائلته، فتصبح ملقبة بلقبه العائلي، وهذا من الحطّ من كرامتها واستقلاليتها، نعم إذا كان ذلك بالتفاهم وبالتراضي فلا بأس، وأما أن تكون التبعية هذه هي الاصل فهذا ما لا يقبل، حيث هو حطّ من كرامتها.

٤ ـ **العزل**: حق من حقوق المرأة فمن المفروض أن يتم برضاها، كما لها استخدام العازل أيضا من دون أن تخبر زوجها أو أن يكون برضاه، كما أن الانجاب رغم أنه حق من حقوق الزوجين منوط بموافقتها.

٥ ـ **المساواة في الحقوق والواجبات**: حيث قال جل وعلا: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾[1].

وقال تبارك اسمه ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال جل اسمه: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، وكأن هذه الاية جاءت ردا على من نفى كونها من الجنس البشري، فجاءت الآيات لتقف أمام الجدل الذي ساد في الغرب، هل هي إنسان أو غير إنسان؟ وهل تحمل روحا أم لا؟[3] أو أعتبرها مخلوقة أدنى من الرجل خلقت لأجل ترفيهه لا غير، أو سلب عنها خيار الانفصال عن الزوج فيما إذا عاشت الجحيم معه. وعليه كانت أكثر الديانات كالهندوسية والبوذية والنصرانية واليهودية، ولا ننسى الحضارات الصينية واليونانية والفارسية التي كانت تعامل المرأة معاملة مغايرة للرجل.

٦ ـ جاء الاسلام ليكشف أن المعايير السابقة عليه لم تكن معاييرا حقيقية ولا واقعية بل كانت معايير سلطوية وطائشة أخذت بعين الاعتبار مصلحة جانب واحد، وألغت دور الفكر والعقيدة، فقد روي عن الامام الصادق عليه السلام: «المرأة الصالحة خيراً من ألف رجل غير صالح»[4]

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٣) المرأة مع النبي: ٧٤.

(٤) المرأة مع النبي: ٧٧.

فإنه عليه السلام جعل قيمة الانسان إمرأة كانت أم رجلا في قيمته العقائدية والفكرية والاجتماعية[1] مادام يحمل عقلية صالحة وسلوكا صالحا فهو المفضل دون أي اعتبار لمسألة الجنس، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2] الى غيرها من موارد لا مجال لذكرها.

(١) يكثر الباحث هنا من الاسهاب مما يخرجه عن الموضوع، ولكنه يرى لابد من إعطاء صورة متكاملة عن المرأة في ظل الاسلام - المعدّة - .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.



الزوجة المفضلة

هناك عدد كبير من الروايات تذكر صفات المرأة التي تصلح للتزوج بها، نذكر هنا بعض المرويات عن طريق أهل البيت عليهم السلام.

روى الصادق عليه السلام عن ابيه الباقر عليه السلام، قال: النساء أربعة أصناف: فمنهن ربيع مربع، ومنهن جامع مجمع، ومنهن كرب مقمع، ومنهن غلّ قمل.

فأما الربيع المربع: فالتي في حجرها ولد وفي بطنها آخر[1].

والجامع المجمع: الكثيرة الخير المحصنة.

والكرب المقمع: السيئة الخلق مع زوجها.

وغل قمل: هي التي عند زوجها كالغل القمل[2] وهو

(١) تعبير عن كونها ولود.

(٢) مثل عربي يضرب لمن لا نفع فيه، بل يكون مصدرا للشر.

غل من الجلد يقع فيه القمل فيأكله، فلا يتهيأ ان يحل منه شيئا[1].

يقول داود الكرخي[2] قلت للصادق عليه السلام هممت أن أتزوج. فقال عليه السلام: أنظر أين تضع نفسك، ومن تشركه في مالك وتطلعه على دينك وسرك وأمانتك[3]، فإن كنت لابد فاعلا، فبكراً تنسب الى الخير والى حسن الخلق، واعلم - من الوافر - .

ألا ان النساء خلقن شتى
فمنهن الغنيمة والغرامُ
ومنهن الهلال إذا تجلى
لصاحبه ومنهن الظلام
فمن يظفر بصالحهن يسعد
ومن يُغْبن فليس له انتقام

وهن ثلاث: فإمرأة ولود ودود، تعين زوجها على دهره لدنياه وآخرته، ولا تعين الدهر عليه.

وامرأة عقيم لا ذات جمال ولا خلق، ولا تعين زوجها على خير.

---

(١) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٥.

(٢) داود الكرخي: من أتباع الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) التعبير عن الزوجة بالشريكة في المال والمطلعة على أسرار الزوج، وصف دقيق وجليل.

وامرأة صخابة، ولاجة، همازة تستقل الكثير ولا تقبل اليسير[١].

وقال الامام علي عليه السلام: تزوج عيناء[٢]، سمراء، عجزاء[٣]، مربوعة[٤]، فإن كرهتها، فعليّ صداقها[٥].

وقال علي السجاد عليه السلام: خمس خصال من فقد واحدة منهن لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب، فأولهن: صحة البدن، والثانية والثالثة: السعة في الرزق والدار، والرابعة: الانيس الموافق.

فقيل له: وما الانيس الموافق.

قال: الزوجة الصالحة والولد الصالح والخليط الصالح[٦].

والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال، الدعة[٧].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله: إذا أراد أحدكم أن يتزوج فليسأل

---

(١) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٦.
(٢) العيناء: الحسنة العين.
(٣) العجزاء العظيمة العجز.
(٤) المربوعة: الوسيطة القامة.
(٥) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٦.
(٦) أراد، البيئة والصداقة الصالحة.
(٧) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٧.

عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين[1].

وقال الرسول ﷺ: خير نسائكم الطيبة الريح، الطيبة الطعام التي إن أنفقت أنفقت بمعروف، وإن أمسكت أمسكت بمعروف فتلك من عمّال الله، وعامل الله لا يخيب[2].

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن الرسول ﷺ: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجها واقلّهن مَهرا»[3].

وقال الصادق أيضا عليه السلام: الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا، وهن أجمل من الحور العين[4].

وجاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال: إن لي زوجة إذا دخلت تلقتني، وإذا خرجت شيعتني، وإذا رأتني مهموما قالت: ما يهمك إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك، وإن كنت تهتم بآخرتك فزادك الله هما.

فقال له رسول الله ﷺ: بشرها بالجنة وقل لها: انك عاملة من عمال الله، ولك في كل يوم أجر سبعين شهيدا[5].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٢٤٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٢٤٦.

(٣) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٩.

(٤) مكارم الاخلاق: ١/ ٤٣٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٢٤٦.

إذا ما لوحظت الايات القرآنية نرى بأن فيها ما ركزت على ثلة من النساء اللاتي خلدهن القرآن بالذكر الحسن، حيث كان لهن دور هام في أداء رسالة الانسانية في تلك المجتمعات المستهلكة، وقد وقفن بشجاعة وايمان أمام التيارات الظالمة للشعوب، فكان لهن الفضل في الدفاع عن حقوق الفكر والعقيدة والطهارة والكمال، وربما كان دورهن أعظم من دور الكثير من الرجال، بل كن رواد بناء العديد من رجالات التاريخ، وقد صنعن تاريخ أممهنّ فكرمهن الله تعالى، وكتب القرآن الكريم عن سيرتهن بأحرف من نور، فأصبحن المثل الاعلى للرقي والكمال، وسنذكرهن بالتسلسل التاريخي، مشيرين بايجاز كلمات عن سيرتهن:

١ ـ مثال الطاعة: [هاجر المصرية][١] زوجة النبي

---

(١) هاجر: كانت من مصر، أهداها الملك المصري سنان بن علوان بن عبيد بن عولج الى سارة زوجة النبي ابراهيم عليه السلام.

إبراهيم الخليل عليه السلام وأم إسماعيل عليه السلام والتي تحملت عناء الهجرة من فلسطين لتحل بدار الغربة مكة، في بلد ليس فيه زرع ولا ماء، وبقيت وحيدة مع إبنها إسماعيل ليس لشيء إلا لطاعة الله، وتحملت ذلك الامتحان الالهي لزوجها في إبنها ليعبد رب البيت وتهوي اليه أفئدة من الناس فلم يتركها سبحانه دون تكريم فبارك الله تلك البلاد حين قال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1].

٢ ـ مثال التحدي: [آسية بنت مزاحم الاسرائيلية] زوجة فرعون مصر[2] وقد تحدت زوجها فرعون، وآمنت برب موسى بن عمران، وكفرت بزوجها الذي ادعى الألوهية وقاومته تاركة من ورائها عزّ الرفاه والسلطان، والقصور والديباج، فعذبها زوجها عذابا كان فيه حتفها، وارتحلت الى رحاب الله وعزته، وكان لها من قبل دور كبير في بقاء موسى عليه السلام على قيد الحياة فكرمها الله بقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا

---

(١) سورة ابراهيم، الآية: ٣٧.

(٢) فرعون مصر: هو الوليد بن مصعب بن معاوية بن نمير بن الهلواس بن ليث بن هران بن عمر بن عملاق، وهو رابع فراعنة مصر، وقد استرق أهل مصر.

فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

٣ ـ مثال الصبر: [أفاحية بنت أشموئيل الخليلية][2]

زوجة عمران بن يعمر الاسرائيلي، وأم النبي موسى عليه السلام، تلك المرأة التي صمدت بإيمانها الراسخ بالله أمام كل عذابات طاغية زمانة فرعون مصر، وواجهت ملاحقته بالصبر في حين يذكر المؤرخون لم يبق في مصر من النساء المؤمنات إلا آسية بنت مزاحم، وحزبيل، ومريم بنت ناموسا، وكانت رابعتهن أم موسى وخالته كلثم، فلم يغادر عسكر فرعون بيتها، فأخفى الله حملها ومولودها، وألهمها الله أن تضعه في صندوق وتتركه في البحر الأحمر، فالتقطه فرعون، فخلدها الله بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ * أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[3].

٤ ـ مثال العفة: [صفيراء بنت شعيب الخليلية][4]

زوجة النبي موسى بن عمران عليه السلام تلك الفتاة التي كانت مع أختها تخدم أباها ذلك النبي العجوز، وتقوم بشؤون حياته

---

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.

(٢) الخليلية: نسبة الى ابراهيم الخليل.

(٣) سورة طه، الآيتان: ٣٨ و٣٩.

(٤) الخليلية، نسبة الى ابراهيم الخليل عليه السلام، حيث هي ابنة شعيب بن نويب بن رعويل بن مرة بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

حيث لم يحظ شعيب بالبنين، ومع هذا فقد حافظت على عفتها وكرامتها وكانت على درجة عالية من الحياء، ولما تزوجها موسى عليه السلام تحملت معه تلك المشاق وناصرته، وجاءها المخاض وهي في طور سيناء في طريقها الى مصر، وموسى كان على موعد مع ربه، وقال الله عن ذلك: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1].

٥ ـ مثال الحكمة: [بلقيس بنت هدهاد الحميرية] ملكة سبأ «اليمن» كان لها سلطانا عظيما، الا انها كانت على الصابئة وتعبد الشمس فلما جاءها رسول النبي سليمان عليه السلام وعرض عليها الاستسلام، جمعت مستشاريها وطرحت عليهم ما عرضه عليها سليمان من الايمان بالله، إلا أنهم رفضوا ذلك ولكنها درست الامر بحكمة وتعاملت مع رسول سليمان بحكمة، ثم أنها قررت الذهاب للقاء النبي سليمان، فلما التقت به وشاهدت عظمة النبوة وسمعت منه ما يسرها، آمنت بالله العظيم وضمت ملكها الى ملك سليمان، فقال عنها الله سبحانه وتعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩.

ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

٦ ـ **مثال الامل**: [حنة بنت قافوذا الاسرائيلية] زوجة عمران وأم السيدة مريم العذراء، كانت حنة عاقرا، فالتجأت الى الله سبحانه وتعالى ولم تقطع أملها بالله العظيم وتضرعت اليه متوسلة أن يرزقها ولدا يكون نذرا خالصا لان يعمل في بيت المقدس في سبيله تعالى، فاستجاب الله دعائها ولكنها وضعته أنثى فاحتارت في أمرها فأوحى الله لها أن تفي بنذرها وإن كانت أنثى فخالفت قومها واتبعت تعاليم ربها وتحملت الفراق فذكرها الله بقوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[2].

٧ ـ **مثال الطهارة**: [مريم بنت عمران الاسرائيلية][3] أم النبي عيسى ابن مريم عليه السلام، تلك الطفلة الطاهرة، والفتات الصالحة، والمرأة الرسالية، التي ولدت بدعاء أبيها وأمها بعد

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.

(٣) حيث أن نسلها يصل الى النبي يعقوب عليه السلام وابوها هو عمران بن ماثان.

العقر، وكانت منذورة لخدمة بيت المقدس، ورغم أنها كانت أنثى تقبلت مستقبلها الغامض برحابة صدر مع علمها بما سيلاقيها من المتاعب، بين زمرة الرجال الذين لا يحملون من الشفقة حرفا ولا من الايمان كلمة، ومضت في دربها وشقت طريقها، وتحملت ما تحملته في سبيل الله، وتقبلت أمر الله برضاها فنفخ الله فيها من روحه، فاتهمها القوم فاعتزلتهم غير مبالية بهم، وأنجبت نبيا من أنبياء أولي العزم الا وهو عيسى عليه السلام، فجعلها الله مثلا يحتذى بها. قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[1].

فإن كل واحدة من اللائي ذكرناهن أصبحت مثالا للكمال البشري وقدوة يحتذى بها ليس للنساء فحسب بل لكلا الجنسين، ولم يكتف القرآن المجيد بذكر هذه النخبة فحسب بل ذكر نموذجا آخر من بنات حواء ممن انتمين الى المعسكر الاخر فتحدث عنها القرآن بالذكر السيّئ ومن تلكم النساء إمرأتي نوح ولوط عليهما السلام اللتان قال عنهما تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾[1]، وقد أعرضنا عنهما وعن أمثالهما كي لا نتوسع، ولا يخفى أن في كل قضية من قضايا القرآن عبرة لأولي الالباب[2].

(١) سورة التحريم، الآية: ١٠.

(٢) يسهب الباحث الكرباسي حفظه الله في تبيان الجوانب الإيجابية في المرأة، ويعرض عن الجوانب السلبية، ونراه في ذكر زوجتي النبيين نوح ولوط عليهما السلام اللتان خانتا زوجيهما يوجز إيجازا شديداً، وما الى ذلك، لأنه ذكر في أول بحثه بصدد الدفاع عن الاسلام وبيان ما للمرأة في الاسلام من مكانة، في قبال أعداء الاسلام الذين قلبوا الحقائق ـ المعدّة.



إن المعسكر الحسيني الذي مثل في كربلاء رغم صغره وقلة أفراده إحتوى على أطياف الأمة ففيه المولى والعبد، والشيخ والطفل، والرجل والمرأة، وفيه الصحابي والتابعي، والابيض والاسود، كما فيه الشريف والوضيع، والقوي والضعيف، والعلوي والعثماني، وفيه المسلم وغيره[١] والعربي وغيره، لقد تجمع فيه اصناف وألوان الانسان الذين جبلوا على الكرامة والعدالة، والانسانية.

وإذا نظرنا الى خلفية تلك الطاهرات اللاتي جئن الى ارض المعركة نلاحظ ان فيهن الام والجدة، والاخت والشقيقة، والعمة والخالة، والابنه والحفيدة، والزوجة والسرية، ويجب التمعن بأن لكل منهن مهمة ربما تختلف تماما عن مهمة الاخرى، ولكن يجمعهن الايمان بأرقى مفاهيمه الانسانية والتي جاء بها الاسلام ولخصها في شخص

(١) إشارة الى من لم يكونوا مسلمين ثم أسلموا.

الامام الحسين عليه السلام واهدافه، وفي هذا المقطع سنشير الى بعض النماذج التي يشار اليها بالبنان من تلك الزمرة الطاهرة التي لم تأخذها في الله لومة لائم سواء من اللاتي حضرن كربلاء أو كنَّ على ضفاف نهضته المباركة، سنذكرهن حسب الحروف الهجائية:

١ ـ أم وهب النصرانية: المرأة التي آمنت وضحّت، كانت أم وهب وابنها وهب على الديانة النصرانية، ولم يعرفا عن الاسلام ما يجعلهما يفكران بجد في التحول عن معتقدهما، ولكن كان للصدفة دور كبير، حيث كانا قد نزلا الثعلبية[١]، وصادف أن الامام الحسين عليه السلام قد سبقهم اليها، فأخذت هيبة الامام عليه السلام الولد والوالدة، فدخل نور الهداية في قلبيهما حينما تحدثا الى شخصه الكريم، فلما علما بأن الامام قد نهض لدفع الظلم وإحقاق الحق، أسرع اليه وهب وأخذ يسأله عن أشياء كان يضيق بها صدره وتدور في مخيلته، فلما عرف الحقيقة من منهلها واستوعب الفكرة، أسلم على يدي الامام وأسلمت أمه أيضا، وكانا متعطشين الى تطبيق هذه الشريعة بكل بنودها، وكان الذَّب عن ابن بجدتها سبط الرسول صلى الله عليه وآله من أبرز معالم هذه الشريعة،

---

(١) الثعلبية: هي المرحلة التاسعة عشر من مراحل حركة الامام الحسين عليه السلام، تقع بين سوقة وبطان ـ راجع باب السيرة، ومعجم الاماكن من الموسوعة.

فالتحقا بركب الحسين عليه السلام ووصلا كربلاء معه، فما كان من الأم إلا أن تحث ولدها في الدفاع عن شريعة سيد المرسلين وعن ابن بنته وريحانته وحاميها، فكانت يوم عاشوراء تدور حول إبنها وتشجعه للنضال والجهاد الى أن استشهد، وما أن التحق بالرفيق الاعلى الا وخرجت بنفسها الى المعركة وأخذت بيدها عمود الخيمة وأخذت تدافع عن ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندها أسرع الامام فأرجعها الى الخيمة وأعلمها بأن الاسلام أسقط عن المرأة فريضة الجهاد ولانها كانت تواقة الى الجنة فقد أوعدها الحسين بذلك، إنها ضمنت الجنة بعد ثلاثة عشر يوما فقط من اسلامها، فمن يا ترى أسلمت وضحت بفلذة كبدها، وضمنت الجنة !.

٢ ـ **بحرية بنت مسعود الخزرجية**: المرأة التي تجهز ابنها للشهادة، كانت بحرية ممن حضرن كربلاء مع زوجها جنادة بن كعب الخزرجي فخرج الزوج وقاتل قتال الابطال بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ولما لم تملك بحرية وسيلة أخرى للدفاع عن الحق المتمثل بالحسين عليه السلام جاءت الى ابنها عمر، والذي لم يتجاوز العقد الاول من عمره، فألبسته لامة الحرب وقلدته السيف، وتحدثت معه بأمر القتال بين يدي أبي عبد الله، والنواميس التي يدافع عنها، محثة إياه على ذلك وقالت فيما قالته: أخرج يابني وانصر

الحسين عليه السلام وقاتل بين يدي ابن رسول الله فلما جهزته خرج ووقف أمام الحسين عليه السلام يستأذنه للقتال، فلم يأذن له فأعاد عليه الاستئذان، فقال الحسين عليه السلام: «إن هذا غلام قُتل أبوه في المعركة، ولعل أمه تكره ذلك» فقال عمر: «يابن رسول الله إن أمي هي التي أمرتني وقد قلدتني هذا السيف والبستني لامة الحرب» وعندها سمح له الحسين عليه السلام فذهب الى ميدان القتال وهو ينشد ما يختلج بقلبه قائلا من المتقارب:

أميري حسين ونعم الامير
سرور فؤاد البشير النذير

علي وفاطمة والداه
فهل تعلمون له من نظير

له طلعة مثل شمس الضحى
له غرة مثل بدر المنير[1]

فقاتل حتى قتل وقطع رأسه فرمي به الى جهة الحسين عليه السلام، فأخذته أمه وضربت به رجلا أو رجلين فقتلتهما، وحفَّ اليها الحسين عليه السلام فأرجعها الى الخيمة. فمن يا ترى يمتلك قلبا مفعما بالايمان والشجاعة !.

---

(١) راجع ديوان القرن الأول الهجري: ١/٢٤٨ من هذه الموسوعة.

٣ ـ دلهم بنت عمرو الكوفية: المرأة التي وضعت زوجها على الطريق، لم يكن زوجها زهير بن القين البجلي من الموالين لاهل البيت عليهم السلام بل كان على الخط العثماني الذي على النقيض مع خط أهل البيت عليهم السلام ولكن الطريق جمع بينه وبين الامام الحسين عليه السلام وهما في طريقهما الى الكوفة، وما كانت إلا ساعة فإذا برسول الحسين عليه السلام على باب خيمة زهير يقول: إن أبا عبد الله بعثني اليك لتأتيه، فساد صمت رهيب في مجلس زهير، حيث كان يكره زهير وقومه من مسايرة الحسين عليه السلام وهو في الطريق فكيف بهم ورسول الحسين يدعوهم للقياه، وفي هذه اللحظة مزقت دلهم، تلك المرأة الحكيمة والمؤمنة، أجواء الصمت والذهول، والتفتت الى زوجها مفجرة بكلماتها بركانا من الدرن الذي تزمجر على القلوب وقالت: يا زهير ايبعث اليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه، سبحان الله، لو تأتيه فسمعت كلامه، ثم انصرفت، فما كان من زهير الا أن قرر الذهاب الى أبي عبد الله عليه السلام ويستمع اليه، وفجأة وجد زهير نفسه في مجلس الحسين عليه السلام حيث حملته رجلاه اليه، ولما حاوره الحسين عليه السلام وبيّن أهداف نهضته، إنقلب زهير واتخذ قراراً حاسما، وصمّم على الالتحاق بركب ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله، فعاد الى قومه مستبشرا قد أسفر وجهه

والتفت الى زوجته ليطلقها ويلحقها بأهلها، لا كرهاً بها بل حبا لها، موطّنا نفسه للشهادة، فبشرها بقراره الشجاع، والتحاقه بركب الحق فقامت اليه زوجته تودعه باكية لتقول له بكل ثبات: خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين. وهكذا ودع زهير كل متاع الدنيا ليقول للحسين عليه السلام: «والله لوكانت الدنيا لنا باقية وكنا مخلدين إلا أن فراقها في نصرتك ومواساتك لآثرنا الخروج معك على الاقامة فيها... أما والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل هكذا الف قتلة وأن الله يدفع بذاك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك..»، طلق زهير زوجته والدنيا، وطلّقت زوجته حلاوة الدنيا وبهجتها وأذعنت لقرار زوجها خوفا من أن يتردد عن الشهادة، فمن يا ترى كان وراء تحول زهير !.

٤ ـ **زينب بنت علي بن ابي طالب**: المرأة التي أبت إلا المشاركة في النهضة، تلك الزوجة الوفية، والام الحنونة، والعمّة العطوفة، والخالة الرؤوفة، والأخت المسؤولة التي كانت قدوة ليس للنساء فحسب بل وللرجال أيضا، أخذت على عاتقها أدوارا مختلفة يصعب على المرء حصرها، ولكن سنشير الى جانبا منها ألا وهو تفعيل وتكريس الاهداف التي من أجلها نهض الامام الحسين عليه السلام وذلك بعد

شهادته عليه السلام، وإن شئت فقل تكميل ذلك الدور واستمراريته فقد وقع على عاتقها، ولا يمكن نسيان هذا الدور الفاعل، ولولا جهودها لما أثمرت تلك النهضة المباركة بهذا الشكل الذي أثمر، وقد أبت السيدة زينب إلا أن تشارك شقيقها الحسين عليه السلام، فقد ذكر المؤرخون أن ابن عباس جاء الى الحسين عليه السلام ناصحا ومودعا وهو بعد بأرض الحجاز ليثنيه عن السفر الى العراق، ولكنه وجد نفسه أمام إصرار الامام عليه السلام الذي لا محيص عنه فطلب منه عليه السلام أن لا يأخذ معه النساء قائلا: جعلت فداك يا حسين، إن كان لابد من السير الى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك، فسمعته السيدة زينب عليها السلام فانبرت تخاطبه: يابن عباس تشير على سيدنا وشيخنا أن يخلفنا هٰهنا ويمضي وحده؟ لا والله بل نحيا معه ونموت معه وهل أبقى الزمان لنا غيره.

فقد أبت إلا المشاركة في تلك النهضة الالهية، وكانت بالفعل شريكة الحسين عليه السلام في نهضته، عرفت دورها فأجادت تطبيقه، ويحتار المرء في الحديث عن أدوارها ومواقفها، حيث أن لها مواقف قبل الوصول الى أرض المعركة، كما أنيط لها بأدوار وهي على أرضها فكانت تحث الانصار وتساند الحسين وتلاطفه وتخفف عنه، وأما عن دورها يوم المعركة فكبير جدا، ولم تترك جانبا إلا ولها يد

فيها، فلم تغفل عن تمريض الامام زين العابدين، ولا نسيت الاطفال حيث كانت تجمع الاطفال والنسوة بل والذكور أيضا، وتشرف عليهم، وحتى في مراحل الاسر، ولما جاء دور مخاطبة الجماهير وإعلامهم بأهداف الثورة وإخبارهم بالاحداث الدامية لم تتقاعس، بل قامت بتأليب الأمة على الطاغية ونظام حكمه، كما قامت بأعباء الامامة بالنيابة عن إبن أخيها السجاد عليه السلام، إن السيرة الحسينية مليئة بمواقفها الجليلة التي لا يمكن حتى الاشارة اليها في هذه المقدمة التمهيدية، فالى هناك والى قولها مخاطبة ربها حين وقفت على جثمان أخيها الحسين عليه السلام «اللهم تقبل منا هذا القربان» فمن يا ترى أوصل صوت الحسين عليه السلام الى بلاط الطغاة والى الأمة!

٥ ـ **طوعة الكوفية**: المرأة التي احتضنت الثائر، لم تكن طوعة استثناءً في حبها لابنها الوحيد، فكانت تقف بالباب تنتظر قدومه خوفا من أن يصيبه مكروه وكانت قلقة عليه فترة غيابه عن البيت، وكانت الكوفة آنذاك في انتفاضة عارمة ضد الطاغية يزيد وأعوانه، وجلاوزة الطاغية يمارسون القمع والاضطهاد، وطوعة على الباب وإذا بالثائر المنتفض، والسفير القائد على بابها إنه مسلم بن عقيل سفير الحسين يبحث عن ملجأ آمن، وعن مأوى ينجيه من الغدر، تعرفت

عليه طوعة من خلال حديث دار بينهما، فلم تتردد ولو للحظة في القيام بالواجب الملقى على عاتقها من إيواء هذا الثائر المخلص فقامت بالترحيب به، وأسرعت بخفة معهودة عند النساء، فجهزت له بيتا يأوي فيه مسلم، وهيأت له كل مستلزمات الضيافة والتكريم، وجاء إبنها المدلل بلال ذلك المتعاون مع السلطة الذي كان من مصاديق قوله تعالى ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾(1) ولما عرف بالامر أخذ يفكر في هذا الصيد السمين الذي كان يبحث عنه، وكان من أمره أن أخبر السلطان بالامر، وكان من أمر مسلم خوض المعركة مع الظالمين حين جاؤوا للقبض عليه وما كان أمام طوعة إلا أن تتبرأ من ابنها بلال ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾(2) فتعتذر من مسلم بن عقيل ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾(3)، وطلبت من الله الغفران ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(4) ومسلم ينهض ليستعد لمواجهة القوم ويلتفت اليها ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(5) فأخذ يودعها ويقول رحمك الله وجزاك عني خيرا. فمن يا ترى احتضن رجلا خطيرا كمسلم!

(1) سورة يونس، الآية: ٣١.
(2) سورة هود، الآية: ٤٦.
(3) سورة الكهف، الآية: ٧٣.
(4) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(5) سورة يوسف، الآية: ٩٢.

٦ ـ عاتكة بنت مسلم بن عقيل: الطفلة التي لا تنسى القائد، ربما كانت عاتكة هي التي قامت بهذا الدور حيث لم يوضح المؤرخون ذلك إلا أنها هي المرشحة لذلك، إنها إبنة شهيد، وأخت شهيد، والشهادة تنتظرها، ولا تملك من العمر إلا قليلا حيث كانت إبنة سبع سنين ولكنها كانت تملك قلبا كبيرا ملؤه المحبة والعطف نحو قائد لم يغفل عنها رغم انشغاله بأمور تراكمت عليه كالجبال، فهوى على أرض المعركة وهي لا تدري، رقّ العدو عليها حين رآها تلهث من العطش وشفتاها ذابلتان، أقدم أحدهم على جلب الماء لها بعد أن تمكن من استصدار الاذن من قائده فلما قدم اليها الانية أمسكت بها وانحدرت نحو ساحة المعركة والمقاتل يتبعها ويناديها الى أين. . الى أين؟ فترد عليه: الى الحسين. . الى الحسين. . أنه كان عطشانا. . أنه بحاجة الى الماء. . إلا ان المقاتل لم يرحمها بلطيف الكلام وقال: إن الحسين ليس بحاجة الى الماء. . أنه قتل. وما أن صك خبر الموت آذانها أراقت الماء وكسرت الانية قائلة: وا ذلاه، فهل تعبير أبلغ من هذا، فمن يا ترى ملك قلوب الاطفال، ومن يا ترى واسى القائد!

٧ ـ مارية بنت منقذ العبدي: المرأة التي مولت الثائرين، كانت مارية أرملة استشهد زوجها في معركة الجمل

نصرة لامير المؤمنين عليه السلام ومع هذا فقد كانت موالية للحق دون أي ملل وكلل، وكانت تحوز على مكانة مرموقة في المجتمع البصري وتمتلك أموالا طائلة، ولما بدأ الصراع العلوي الاموي على أشده فتحت بيتها للزعماء الموالين للبيت العلوي ليكون ناديا فكريا يناقش فيه الزعماء قضايا الأمة، ومركز اتصال وتواصل لدعم المعارضة، ولما عرفت بوصول رسائل من الامام أبي عبد الله عليه السلام الى أشراف البصرة، خرقت ببكائها الغاضب محفل الاشراف الذين كانوا يجتمعون في بيتها لتقول كلمتها المدوية بعدما سألوها عن سبب غضبها وبكائها: «ويلكم ما أغضبني أحد، ولكن أنا إمرأة ما أصنع؟ سمعت أن الحسين ابن بنت نبيكم استنصركم وأنتم لا تنصرونه»، فأخذوا يعتذرون بعدم إمتلاكهم السلاح والراحلة، عندها أخذت كيسا مليئا بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية وأفرغته أمامهم وقالت: «فليأخذ كل منكم ما يحتاجه وينطلق الى نصرة سيدي ومولاي الحسين». فيا ترى من جاد بماله في نصرة الحق والعقيدة!.

٨ ـ **نوار بنت مالك الحضرمية**: المرأة التي رفضت بعلها، استندب الخولي بن يزيد الاصبحي ليحمل رأس الحسين عليه السلام الى الطاغية عبيد الله بن زياد، وكان عجلا من أمره للوصول الى دار الامارة لينال الجائزة إلا أنه وصلها

متأخرا حيث خيم الظلام وأغلقت الكوفة أبوابها فاضطر الى المضي الى داره ليستريح ليلته ويعود في الصباح الباكر، ولما دخل بيته سألته زوجته نوار عما يخبؤه في التنّور، فقال لها بعد حوار طويل: جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار. فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن رسول الله، لا والله لا يجمع رأسي، ورأسك في بيت أبدا، ثم أضافت قائلة: إرجع، وأخذت عمودا وأوجعته ضربا، وقالت: والله ما أنا لك بزوجة، ولا أنت لي ببعل.

وهكذا فارقته لتعلم الاخرين درسا في التعامل مع الظالمين وإن كان الظالم وليّ نعمتهم، وبالفعل أتبعتها ضرتها عيوف الاسدية حيث هي الاخرى رفضت الخولي فبات بلا مأوى، فمن يا ترى استنكر فعلة الظالمين!

٩ ـ هانية بنت... الكلبية: المرأة التي استبدلت شهر العسل بالفوز بالشهادة، كانت هانية قد تزوجت من وهب بن عبد الله الكلبي وكانا قد خرجا الى أطراف الكوفة ومعهما أمه، وربما كان خروجهم من قبيل ما يسمى اليوم بشهر العسل حيث تزوجا في الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة عام ٦٠ هـ، وبينما هم كذلك إذ رأى وهب أن القوم بالنخيلة في عرض عسكري ليسرحوا الى القتال، فسأل عن مقصدهم

فقيل له: يسرحون الى قتال الحسين ابن فاطمة بنت رسول الله، فقال في نفسه: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصا وإني لأرجو أن يكون جهاد الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثوابا عند الله من ثوابه إياي في جهاد المشركين، فدخل الى إمرأته فأخبرها بما سمع، وأعلمها بما يريد، فقالت له أصبت أصاب الله بك، وأرشدك أمورك، إفعل وأخرجني معك، وخرجوا جميعا ليلا حتى أتوا الحسين عليه السلام ولما كان يوم العاشر من محرم، خرج الى القتال واستبسل وأمه تحرضه على الذّب عن إبن بنت رسول الله، ولكن زوجته هانية قالت له: يا وهب إني أعلم أنك اذا قتلت في نصرة ابن رسول الله دخلت الجنة وضاجعت الحور وتنساني فيجب أن آخذ عليك عهدا بمحضر الحسين في ذلك فأقبلا الى الحسين وسألته حاجتان الاولى أن تلتحق بركب أهل بيت الحسين بعد مقتل زوجها، والثانية أن تكون من أهل الجنة بصحبة زوجها، فطيب الحسين خاطرها. وبعد هنيئة، لما كان وهب يقاتل، سمع زوجته تحرضه على القتال، وخرجت هي الان تقاتل فاستغرب وَهَب من هذا التحول، فقالت له: يا وهب لا تلمني إن واعية الحسين كسرت قلبي، وتوجهت نحو المعركة لتقاتل الى جنب زوجها، فاستنجد وهب بأبي عبد الله عليه السلام ليرجعها فخف

اليها الحسين وأرجعها. فمن يا ترى ضحت بالزوج لتؤجل إقترانها به الى الجنة !

١٠ ـ هند بنت عبد الله بن عامر: ملكة البلاط تهدد صاحب البلاط، كانت هند زوجة الطاغية يزيد بن معاوية الاموي عليه اللعنة، وكانت على معرفة بأهل بيت النبوة حيث كانت تخدمهم تقربا الى الله حين كانت في المدينة، ولكن بعد زواجها من طاغية الشام أبعدها جغرافيا عن أهل البيت عليهم السلام، ولما أسر الركب الحسيني وفيهم بنات الرسالة أمثال زينب وأم كلثوم بنت علي عليه السلام وأضرابهما، خرجت على العادة المتبعة للاستطلاع على الاسرى الجدد الذين وصلوا الى البلاط، وكانت قد توشحت بوشاح الملكات، وما أن التقت بهم خطفت زينب نظرها فأجرت معها حوارا علمت بعدها انها ابنة فاطمة وعلي فأجهشت بالبكاء وخرت مغشيا عليها، ولما افاقت لم تتحمل صنع الطاغية زوجها فركضت نحو البلاط بحالة لم يعهد لها من قبل وإذا الطاغية مجتمعا بأركان دولته في جلسة رسمية ليستقبل بعض الوافدين، وقفت وهي حاسرة تخاطب يزيد، وكلما حاول يزيد أن يهدئ من روعها ويغطي رأسها ليمنع نظرات الحاضرين إليها إلا أنها رفعت صوتها قائلة: أخذتك الحمية عليّ، فَلِمَ لا أخذتك الحمية على بنات فاطمة الزهراء،

هتكت ستورهن وأبديت وجوههن، وانزلتهن في دار خربة والله لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي، فانقلب السحر على الساحر في لحظة سريعة.. فمن يا ترى كان وراء انتفاضة بلاط الطاغية !

هذه كوكبة من النساء الطاهرات اللواتي حملن مشعل الكرامة والحرية، وقمن بما لم يقم به الرجال، والارض لا تخلو من مثل هذه المجاهدات على مرّ التاريخ وحتى في عصرنا الحاضر، ولكن نهضة الحسين عليه السلام جمعت كل مقومات الحياة الكريمة فكانت نهضته مثلا رائعا لكل الشعوب، ونعود لنؤكد أن كل واحدة من العناصر النسوية ممن كان لها ارتباطا بالمعسكر الحسيني مثلت دورا رائعا بقيت الاجيال تتحدث عنه، وأصبحت المجاهدات من هذه الأمة وغيرها يحتذين بهن.

من تاريخ المرأة[1]

رغم أن المرأة كان لها دور عظيم في تقدم الامم وارتقائها في كل الازمنة الغابرة وبين كل الشعوب، ولكن لم يعترف به إلا في بعض الاحيان، ولم يكن دورها يوما متوقفا على المساواة بين الجنسين، فقد كانت المرأة معطاءة بغض النظر عن كل الاعتبارات، فالمرأة اليونانية على سبيل المثال كان لها شأن عظيم في رسم سياسة بلادها، رغم أن المجتمع اليوناني كان يرى منزلتها دون منزلة الرجل، ويذكر أن العرب في سالف الزمان كانوا يحترمون النساء احتراما يقترب من العبادة، ولكن بعد فساد الاخلاق كنتيجة طبيعية لفساد الاحكام وسيطرة الدخلاء الذين حملوا الأمة العربية كل ما يضعف عزيمتها ويفسد أخلاقها فانمحت بذلك صورة المرأة العربية الحرة الشمائل الابية النفس والاصيلة لترسم صورتها على شكل امرأة مترفة إقتدت بنساء الروم والفرس، وكانت

---

(١) إختزال وتعديل في مقال للقاضي أمير علي الهندي المنشور بالانكليزية في مجلة القرن التاسع عشر، والذي ترجم الى العربية ونشرته مجلة المقتطف المصرية/ حزيران ١٨٩٩م: ٤٢٧ ـ ٤٣٣.

للمرأة قبل ذلك شأن عظيم حيث يحدثنا التاريخ عن زوجة الحرث بن عوف[١] سيد بني مرة التي أصلحت بين قبيلة عبس وذبيان بعد أن كادتا تفنيان[٢].

ولما جاء الاسلام كانت المرأة العربية بالذات ـ كما وغيرها ـ في أسوأ وضع حيث شاع الفساد في المجتمع الرجالي وكذلك النسوي، فكانت القيان تتبوأ مكانا رفيعا بينما أصبحت المرأة ينظر اليها بحقارة ومهانة، فجاء الاسلام ليرفع من مكانتها ويصونها بالعفة والكرامة، وأبقت المرأة المسلمة على مكانتها الى ما بعد عهد القادر بالله العباسي[٣]، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان[٤] إستخدم العرب الخصيان حيث أخذوا ذلك عن الروم، كما اقتبسوا نظام الحريم في عهد الوليد الثاني الاموي[٥].

---

(١) الحرث بن عوف المري: أو الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، والذي كان من فرسان الجاهلية وله فيها أخبار، ولد في الجاهلية وأدرك الاسلام وأسلم ـ راجع الاستيعاب: ١/ ٣٠٣.

(٢) كان يجب وضع هذه الدراسة التاريخية كتمهيد للكتاب أو ضمن التمهيد، ولكن سماحة المؤلف ارتأى ايرادها هنا ـ المعدة ـ .

(٣) القادر بالله العباسي: هو احمد بن اسحاق بن الفضل بن جعفر المقتدر، الخامس والعشرون من حكام العباسيين، حكم ما بين(٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ).

(٤) معاوية بن ابي سفيان: واسم ابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس الاموي، أول من انشقّ عن الدولة الاسلامية، وأسس الدولة الاموية في دمشق عام(٣٦ ـ ٦٠ هـ).

(٥) الوليد الثاني: هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان الاموي، حكم ما بين(١٢٥ ـ ١٢٦ هـ).

هذا وقد أمر المتوكل العباسي[1] بفصل النساء عن الرجال في الولائم والحفلات العمومية، لكن بقي النساء يختلطن بالرجال الى أواخر المائة السادسة للهجرة، وكن يقابلن الزائرين ويعقدون مجالس الانس ويمضين الى الحرب لابسات لامة الحرب ومقلدات السيف، وبعد القادر بالله العباسي تراجع شأن المرأة وضعف دورها في بلاد المسلمين بشكل عام، ولم يشتهر منهن بعد ذلك إلا قليلا، وأخذ الرجال ينتقصون حقوق النساء ويستخدمون عبارات تتنافى والمكانة التي أولاها الاسلام لهن حتى قيل عنهن الكثير من المقولات السيئة ومن تلك قولهم: «ان المرأة تقفل أبواب السعادة وتدس السم في كأس الرجال»، يطلقون هذه الكلمات دون التعمق في أصول الاديان جميعها والتي تجد عند كل ينبوع كل منها حوراء تبث الحياة في ذويها، ولولا المرأة لما صار الاسلام قوة حيّة، فلولا وقفة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين مع النبي ﷺ لما انطلق الاسلام بتلك القوة التي انطلقت، فقد طيّبت قلبه وشدّت عزائمه منذ اللحظات الاولى التي سمع فيها النداء الالهي، ثم وقفتها معه أمام جحافل المشركين، وبذل كل ما لديها لدعم المسلمين الذين حاصرتهم القوى الظالمة محاصرة اقتصادية.

---

(١) المتوكل العباسي: هو جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد، حكم ما بين(٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ).

وإذا ما رجعنا الى قرون قبل ذلك نجد أن مريم العذراء كانت من وراء ذلك النبي الذي لا أب له، فأصبحت تلك الام المثالية قديسة تعد في مصاف الانبياء وتكرم تكريم المرسلين، وهذا ما نشاهده في السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إبنة خاتم الانبياء ﷺ، فهي التي وصفها الرسول ﷺ بسيدة نساء العالمين، تلك القديسة الطاهرة والبتولة الصديقة التي وصلت من حيث المكانة درجة العصمة، وقد روى عنها خيار الصحابة في الفقه والموعظة الحسنة.

ولكن نساء بني أمية غيّرن من سيرتهن عندما أصبحت الخلافة ملكا عضوضاً فاقْتَدَين بالنساء الرومانيات، أو كما في يومنا الحاضر كنساء الولايات الامريكية الشرقية المعروفة بانكلترا الجديدة.

وبانتشار لواء الاسلام في المشارق والمغارب ثم توسع مجال المعارف فلم تعد نساء المسلمين يقتصرن على تعلم الشريعة والاحاديث النبوية بل أخذن يدرسن الشعر وفنون الادب فكن على عهد الوليد وهشام الامويان ينظمن الشعر ويخطبن الخطب مثل أكبر الشعراء والخطباء، ولم يقتصر ذلك على نساء الخاصة بل تناول نساء العامة أيضا.

ويتابع المصدر قائلا: لقد نشأ في عهد بني العباس نساء كثيرات من عقيلات النساء وسمعن الفقه والحديث وكن يقرأن في المدارس والبيوت، والامام الشافعي[1] كمثال على جلالة قدره قرأ الفقه والحديث على إثنتين من هؤلاء النساء اللاتي برزن في عهده وبقيت منزلة المرأة على حالها تقريبا الى ما بعد أيام الواثق بالله العباسي[2]، وكان للمرأة نفوذ واضح في البلاط العباسي، وكانت الكثيرات من زوجات الحاكمين يعدنّ من ربات الحجا والادب والفكر والسياسة، ولهن دور كبير في بناء المنشئات الحيوية صحية كانت أو ثقافية كالمدارس والمستشفيات.

ويذكر المصدر أن القادر بالله العباسي منع النساء من دخول المساجد والمدارس وكل المجتمعات التي كانت مختلطة الا متبرقعات. ومع هذا فلم يؤثر في عطائهن الثرّ. ويرى المصدر بأن المرأة فيما بعد ذلك حط من قدرها وتراجع عطائها بشكل ملموس وأصبحت جليسة الدار.

---

(١) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي «١٥٠ ـ ٢٤٠ هـ» أحد الائمة الاربعة من المذاهب السنة، ولد في غزة فلسطين، وتوفي في القاهرة بمصر، كان إماما في الفقه والحديث، وكان شاعرا عرف بولائه لأهل البيت عليهم السلام. مؤلفاته: السنن، أحكام القرآن، وأدب القاضي.

(٢) الواثق بالله العباسي: هو هارون بن المعتصم بن هارون الرشيد، حكم في الفترة (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ).

ويصف وجدي[1] حالة المرأة في الغرب قائلا: «كانت المرأة في أوروبا مستعبدة، ليس لها شخصية ممتازة فكانت لا ترث ولا تملك، وقد تغالى آسروها حتى حرّموا عليها الضحك وأكل اللحم، ووضعوا على فمها الاقفال الحديدية وحكم عليها بأنها مجردة عن الروح الانسانية التي للرجل، فقام أحد أفراده يطالبون لها الحرية، وحسنا طلبوا لو كانوا وقفوا بمطالبهم عند حدود الحكمة، ولكن دفعتهم الاهواء الى متاهات التعسف، فطلبوا للمرأة وباسمها كل شيء حتى ما ينافي وظيفتها ويفسد خصائصها، طالبوا أن تستخدم في المعامل وان تكون طبيبة ومحامية ومهندسة.. إن بجانب كل مهندسة أو طبيبة أو محامية مائة ألف من بنات جنسها وقفن تحت كلاكل الاشغال الشاقة تكد أجسادهن الاعمال، وتلفح وجوههن النار، غصّت المعامل بالنساء الضعيفات، وشحنت لهن مخازن التجارات في مقابل أجور لا تبلغ البلغة من العيش»[2].

---

(١) وجدي: هو فريد مصطفى وجدي المصري(١٢٩٢ ـ ١٣٧٣ هـ) ولد بالاسكندرية، وتوفي بالقاهرة، كاتب صحفي، انشأ مجلة الحياة، ومطبعة، كما أنشأ صحفا أخرى، من مؤلفاته: على اطلال المذهب المادي، الاسلام دين عام خالد، والفلسفة الحقة في بدائع الاكوان.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين: ٣ / ٣٣٨.

تصريحات غربية

هناك عدد كبير من المفكرين في الغرب انتقدوا الاسلوب الغربي لمعالجة إضطهاد المرأة في القرون الماضية[1] في مجتمعاتهم فما بالك بالعصر الحديث، حيث اعتبروا أن هذا الذي يقومون به أو يشجعون عليه هو إنحلال ولا يمكن عده من الاصلاح وإعطاء الحقوق، وقد أدى الى خسارة المرأة نفسها والى تربية جيل لا يملك مقومات الصلاح والعطاء وبالتالي خسارة الحياة الاسرية المقدسة، وربما مدح بعضهم الاسلوب الذي اختاره الاسلام كمنهج لانقاذ المرأة من براثن الجاهلية وخلاصها من العبودية، وإعطائها الحرية وتنمية القدرات الصالحة فيها، ودفعها نحو الخير والعطاء والقضاء على

(١) من الواضح أن سماحة المؤلف استشهد بأقوال المفكرين الماضين باعتبارهم عاشوا فترة المطالبة بالمساواة وحرية المرأة ـ المعدّة.

مكونات الفساد واصلاحها، وفيما يلي نورد قسما من الحالة التي وصلت اليها المرأة ليكون ما نورد هنا درسا للمرأة الشرقية أو بالأحرى المسلمة لكي لا تعتز بالنموذج الغربي الذي قد ترى بريقه المغري وتسمع الدعايات الكاذبة.

* قال ساموئيل سمايلس[1]: «إن النظام الذي يقضي بتشغيل المرأة في المعامل، مهما نشأ عنه من ثروة فإن نتيجته هادمة لبناء الحياة المنزلية لأنه يهاجم هيكل المنزل ويقوض أركان الاسرة ويمزق الروابط الاجتماعية ويسلب الزوجة من زوجها والاولاد من أقاربهم وصار بنوع خاص لا نتيجة له إلا تسفيل أخلاق المرأة إذ وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية، مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام باحتيجاتهم البيتية. ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل غير المنازل، وأضحت الاولاد تشب على عدم التربية، وتلقى في زوايا الاهمال، وانطفأت المحبة الزوجية، وخرجت المرأة عن كونها الزوجة الظريفة والمحبة اللطيفة،

(١) ساموئيل سمايلس، مفكر انكليزي وأحد أركان النهضة الانكليزية.

وصارت زميلته في العمل الشاق، وصارت معرضة للتأثيرات التي تمحو غالبا التواضع الفكري، والتوادد الزوجي، والاخلاق التي عليها مدار حفظ الفضيلة»[١].

* ونشرت جريدة لندن تروث ـ London Truth ـ مقالة عن الحياة الاسرية للمرأة الغربية وجاء نصها المعرب كالتالي: «إن البلاء كل البلاء في خروج المرأة عن بيتها الى التماس اعمال الرجال، وعلى أثرها يكثر الشاردات عن أهلهن واللقطاء من الاولاد غير الشرعيين، فيصبحون كلاً وعالة وعارا على المجتمع، فان مزاحمة المرأة للرجال ستحلّ بنا الدمار، الم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل وعليه ما ليس عليها؟»[٢].

* وصرحت آني رود[٣] في مقال لها عن المرأة في ظل النظام الغربي قائلة: «لأن يشتغل بناتنا في البيوت خير

---

(١) نهاية المرأة الغربية: عن دائرة معارف القرن العشرين: ٨/ ٦٣٩، قالوا عن المرأة: ٤٩ عن مجلة المرشد البغدادية: ٣/٩ بتاريخ ١٣٤٧ هـ، عن كتاب الاخلاق لساموبل.

(٢) نهاية المرأة الغربية: ٩، عن جريدة المنار المصرية: ٣/ ٤٨١ عن جريدة «لاغوس ويكلي ريكورد» ٢٠/ ٤/ ١٩٠١م، عن جريدة «لندن تروث». راجع أيضا: حقوق النساء في الاسلام: ٧٢، عن عدد من الصحف الاجنبية، وعن مجلة المنار القاهرية في عددها الصادر في جمادى الآخرة سنة ١٣١٩ هـ.

(٣) مس آني رود: هي Ani Rod الانكليزية، كاتبة شهيرة لها مقالات في عدد من الصحف الانكليزية منها جريدة الاسترن ميل.

وأخفّ بلاءً من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونَق حياتها الى الابد، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة تنعم المرأة بأرغد عيش تعمل كما يعمل الأولاد في البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، نعم إنه لعار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها من القيام في البيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها»[١].

* وتقول كوك[٢] عن اختلاط الجنسين في المجتمعات الغربية: «إن الاختلاط يألفه الرجال وقد طمعت المرأة فيه بما يخالف فطرتها، وعلى كثرة الاختلاط، تكون كثرة أولاد الزنى، وهنا البلاء العظيم على المرأة، فالرجل الذي علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء وتذوق طعم مرارة الذل والمهانة والاضطهاد من الحمل وثقله والوحم ودواره، أما آن لنا أن نبحث عما يخفف إذا لم نقل عما يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية؟،

---

(١) نهاية المرأة الغربية: ١٠ عن مجلة المنار المصرية: ٤/٤٨١،عن جريدة The Eastren Mail بتاريخ ١٠ / ٥/ ١٩٠١، قالوا في المرأة: ٣٦ عن كتاب الاسلام والمرأة.

(٢) السيدة كوك (Cook): كاتبة معروفة تكتب بجريدة «لايكو».

يا أيها الوالدان، لايغرنكما بعض الدريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن في المعامل ومصيرهن الى ما ذكرنا، علموهن الابتعاد عن الرجال، أخبروهن بالكيد لهن بالمرصاد. لقد دلنا الاحصاء على أن البلاء الناتج من حمل الزنى أنه يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، ألم تروا أن أكثر امهات أولاد الزنى هن المشتغلات بالمعمل والخادمات في البيوت، ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية لاسقاط الحمل لرأينا أضعاف ما نرى الان. لقد أدت بنا هذه الحالة الى حد من الدناءة لم يكن تصورها في الامكان، حتى أصبح رجال مقاطعات بلادنا لا يقبلون المرأة زوجة شرعية،وهذا غاية الهبوط بالمدنية»[١].

* وتذكر ايفلين كوبولد[٢] واجبات المرأة الزوجية وتركّز على ناحية المنزل فتقول: «الزوجة تقوم بواجباتها المنزلية في صباح النهار وأطرافه، حتى إذا انتهت من أعمالها استقبلت صديقاتها وصويحباتها، وخرجت معهن للتّنزّه وهي مسرورة كل السرور بحياتها»[٣].

---

(١) نهاية المرأة الغربية: ١٠ عن مجلة المنار: ٤/ ٤٨٢ عن جريدة الايكو، وكتاب قالوا عن المرأة: ٣٦، عن الاسلام والمرأة.

(٢) إيفلين كوبولد: باحثة اجتماعية أوصلتها بحوثها العلمية الى اعتناق الاسلام وكتبت كتابها المعروف «البحث عن الله».

(٣) ماذا عن المرأة: ١٠٩ عن كتاب البحث عن الله: ٨٦ تعريب عمر أبو نصر.

* ويحدثنا كاريل[1] عن الفوارق بين الرجل والمرأة ويرى بأن المرأة لا يمكنها ان تجاري الرجل في كل صغيرة وكبيرة بل عليها أن تطالب بما يتناسب وخلقتها وطبيعتها ولذلك صرح قائلا: «والحقيقة أن المرأة تختلف إختلافا كبيرا عن الرجل، فكل من خلايا جسمها تحمل طابع جسمها والامر نفسه صحيح بالنسبة لاعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي، فالقوانين الفسيولوجية «الخلقية» غير قابلة للّين مثل قوانين العالم الكوكبي، فليس في الامكان إحلال الرغبات الانسانية محلها، ومن ثم فنحن مضطرون الى قبولها كما هي، فعلى النساء أن ينصبن أهليتهن تبعا لطبيعتهن، من غير أن يحاولن تقليد الذكور، فان دورهن في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب أن لا يتخلين عن وظائفهن المحدودة»[2].

* وتنصح إيدا إلين[3] بوصفها الخبيرة الاجتماعية في امريكا، تنصح المرأة بوجوب الالتزام حيث تقول: «هذه

---

(١) كارل: هو الكسيس Alexis Carrel ولد عام ١٢٩٠ هـ [١٨٧٣م] وتوفي سنة ١٣٦٣هـ (١٩٤٤م) جراح وعالم فرنسي، له العديد من المؤلفات، حاز على جائزة نوبل للعلوم، من مؤلفاته: الدعاء، والانسان ذلك المجهول.

(٢) ماذا عن المرأة: ١٢١ عن الانسان ذلك المجهول: ٧٨ المترجم من صفحة ٨٩: Man the unknown.

(٣) ايدا إلين: دكتورة اجتماعية.

التجارب أثبتت ضرورة لزوم الام لبيتها، وإشرافها على تربية أولادها فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي، إنما مرجعه الى أن الام هجرت بيتها وأهملت طفلها وتركته الى من لا يحسن تربيته»[١].

* وينشر رينيه سبيتنز[٢] عن تجاربه في حقل تربية الطفل والعناية به حيث اعتمد في تربية الطفل وحضانته الى مجموعتين، الاولى: كانت تحت رعاية الامهات، والثانية: «كانت تحت رعاية الممرضات، فذكر الفوارق قائلا: إن نزلاء المؤسسة الثانية، المحرومين من عطف الام وحنانها لم ينجحوا في تعلم الكلام، ولا المشي ولا تناول الطعام بمفردهم، وبلغت الوفيات بينهم نسبة ٣٧٪، بينما نزلاء المؤسسة الاولى «تحت رعاية الامهات» كانوا على عكس نزلاء المؤسسة الثانية «تحت رعاية الممرضات» ولم تحدث بينهم وفيات خلال خمس سنوات من التجربة على المؤسستين»[٣].

---

(١) ماذا عن المرأة: ١٢٥.
(٢) سبيتنز رينيه (Rainie)، أخصائي وباحث في شؤون الاطفال، يسكن في نيويورك.
(٣) ماذا عن المرأة: ١٢٧ عن مجلة طبيبك: ١٨٤ / ٥٢.

* ويؤكد أشلي مونتاغو[١] الحقيقة السابقة، وهو أن لتربية الام ورعايتها للطفل لها أثركبير في نمو الطفل وتطوره النفسي والعقلي إذ يقول: «بتنا نعرف الان أن الحب يشكل عنصرا أساسيا في تغذية كل طفل وليد، فالحنان شرط رئيسي لا غنى عنه أبدا من أجل نموه وتطوره النفسي والعقلي والجسدي، أما إذا حرم هذا الصغير فقد يتعرض للذبول ـ حتى إذا أحسنت تغذيته ـ بل وربما يتعرض للموت، وهذه المهمة المقدسة هي مهمة الام»[٢].

* ويفصل لوبون[٣] الكلام عن تعدد الزوجات ويمتدح الاسلام بأنه سبّاق الى ذلك، ولكنه ينتقد المسلمين بسوء التصرف، ننقل هنا مقاطع من كلامه بهذا المجال: «ولا نذكر نظاما أنحى الأوروبيون عليه باللائمة كمبدأ تعدد الزوجات، كما أننا لا نذكر نظاما أخطأ الأوروبيون في إدراكه كهذا المبدأ، فيرى أكثر مؤرخي أوروبا اتزانا أن مبدأ تعدد الزوجات يعد حجر الزاوية في الاسلام، وأنه سبب انتشار القرآن، وأنه علة انحطاط الشرقيين... ذلك وصف مخالف

---

(١) مونتاغو أشلي (Montago): طبيب أخصائي في علم الاجناس البشرية.

(٢) ماذا عن المرأة: ١٢٨ عن مجلة طبيبك: ١٨٤ / ٥٣.

(٣) لوبون غوستاف (Lebon Gustave) طبيب وعالم إجتماعي فرنسي يعد رائد علم الاجتماع، ولد عام ١٢٥٧ هـ(١٨٤١م) وتوفي سنة ١٣٥٠ هـ(١٩٣١م). من آثاره: نفسية الجماهير، وعلم النفس في الأزمنة الجديدة.

للحق، وأرجو أن يثبت عند القارىء الذي يقرأ هذا الفصل بعد أن يطرح عنه أوهامه الأوروبية جانبا أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الاخلاقي في الامم التي تقوم به ويزيد الاسرة إرتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراها في أوروبا، ولا أرى سببا لجعل مبدأ تعدد الزوجات الشرعي عند الشرقيين أدنى مرتبة من مبدأ تعدد الزوجات السري عند الأوروبيين، مع أنني أبصر بالعكس ما يجعله أسنى منه، وبهذا ندرك مغزى تعجب الشرقيين الذين يزورون مدننا الكبيرة من احتجاجنا عليهم، ونظرهم الى هذا الاحتجاج شزرا. . . .».

ويقول في موضع آخر: «إن تعدد الزوجات على مثال ما شرعه من أفضل الانظمة وأوفاها بأدب الأمة التي تذهب اليه وتعتصم به وأوثقها للاسرة، وأشدها لآصرته أزرا، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنه وأحق باحترام الرجل من أخته الغربية»[1].

* كانت بعض الكنائس تحرم الطلاق، فكانت المرأة تبقى معلقة لا هي مطلقة يمكنها الزواج ولا هي زوجة تعطى حقوقها كزوجة كما هو الحال في الجاهلية، وقد قال تعالى:

---

(١) ماذا عن المرأة: ١٤٥ عن حضارة العرب: ٤٨٢ ـ ٤٨٤.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾[1] وقال جل وعلا: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾[2]، وكانت إيطاليا وأسبانيا أعتى دولتين متعصبتين منذ تشريع الطلاق ولكنهما أخيرا أرضختا للحالات الاجتماعية والاسرية المتردية، فقد أقر المجلس النيابي الايطالي في ١٨/٩/١٣٩٠ هـ «١٧/١١/١٩٧٠م» قانونا باباحة الطلاق، وكذلك فعلت أسبانيا في شعبان ١٣٩٨هـ «تموز ١٠٧٨م»، ولا يخفى أن الحكومتين أجرتا استفتاءً عاما في البلاد وكانت نتيجة الاستفتاءين الفوز المبين لانصار الطلاق بين الرجال والنساء على حد سواء[3].

* ويقول ماراتوف[4]: «إن من المحقق أن كمال الانسانية في حياة الجنس يتم، ويجب أن يتم في اتجاه التطلع الى التنويع أو التفريق الجنسي الاخذ بالدقة بأن يصبح الرجل أكثر ما يكون رجلا، والمرأة أكثر ما تكون إمرأة»[5].

* يقول اجوست كونت[6]: إن النساء لو نالت هذه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٩.
(٣) ماذا عن المرأة: ١٦٣.
(٤) ماراتوف (Maratfe): دكتور فرنسي.
(٥) يقتلون المرأة اليس كذلك: ٢٥ عن Le Corps et L'Ame, R'Biet Pre'sences.
(٦) اجوست كونت (Conte)، مؤسس علم الاجتماع البشري.

المساواة المادية التي يُطلب لها، فان ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتها الأدبية لانهن في تلك سيكن خاضعات في أغلب المصانع لمزاحمة يومية قوية بحيث لا يمكنهن القيام بها، كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الأصلية للمحبة المتبادلة[١].

* ويصرح الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهور[٢]: إن قوانين الزواج في أوروبا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة الرجل... ما دامت أباحت للمرأة حقوقاً مثل الرجل، كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلا مثل عقله[٣].

* ويذكر الفيلسوف الفرنسي سيمون[٤]: يجب أن تبقى المرأة مرأة، فانها بهذه الصفة تستطيع أن تحدد سعادتها وأن تهبها لسواها، فلنصلح حال النساء، ولكن لا نغيرها،

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ٣٢٨/٣ عن النظام السياسي لأجوست.

(٢) آرثر شوبنهور (Arthur Schopenhauer): ولد سنة ١٢٠٣ هـ(١٧٨٨م) وتوفي سنة ١٢٧٧ هـ(١٨٦٠ م)، فيلسوف ألماني صاحب نظرية: أن الانسان يقرر بالارادة اللاعقلانية العمياء وليس بالعقل. له عدد من المؤلفات، من أهمها: العالم كارادة وفكرة، وقد طبع عام ١٢٣٥هـ (١٨١٩ م).

(٣) قالوا عن المرأة: ٤٧، عن مجلة المرشد البغدادية: ٨/٤، بتاريخ ١٣٤٨ هـ.

(٤) سيمون: هو تيودور سيمون (Theodore Simon) المولود عام ١٢٩٠ هـ(١٨٧٣م) والمتوفى سنة ١٣٨١هـ (١٩٦١م). عالم نفس فرنسي ارتبط اسمه برائز الذكاء المعروف باسم (رائز بينيه سيمون).

ولنحذّر من قبلهن رجالا لأنهن بذلك يفقدون خيراً كثيراً، ونفقد نحن كل شيء..[1].

* ويقول الفيلسوف الاشتراكي برودون[2]: العدالة التي تسوّي بين صنوف البشر فهي بالنسبة للمرأة عبء ثقيل لا تحمله[3].

* ويصرّح اللورد بيرون[4]: بضرورة حجب المرأة عن الاختلاط بالغير[5].

إنما أوردنا هذه التصريحات والتقارير لكي تعرف المرأة المسلمة بأن البريق الذي تتحدث عنه الوسائل الاعلامية المضلة ليست إلا سراباً، وإنما لهم فيها مصالح سياسية على حساب المصالح الاجتماعية وصلاح الأمم والشعوب، ولتعلم المرأة كما الرجل أن لا بديل عن الخيار الاسلامي الذي وضع لمصلحة انسان كفرد وكمجتمع، ويوما بعد يوم تظهر

---

(١) قالوا عن المرأة: ٣٨ عن مجلد المرشد البغدادية: ٣/ ١٠ بتاريخ ١٣٧٤ هـ

(٢) برودون: هو بيير جوزيف (Pierre Joseph Proudhon) ولد سنة ١٢٢٥ هـ(١٨٠٩م) وتوفي سنة ١٢٨٢ هـ(١٨٦٥م) مفكر اشتراكي من فرنسا، عرف بنزعته الى الفوضوية، وهو أول من استخدم هذا المصطلح، ذهب الى أن الملكية الشخصية وسيلة لاستغلال الطبقة الكادحة.

(٣) قالوا عن المرأة: ٤٨، عن الاسلام والمرأة.

(٤) بيرون:

(٥) قالوا عن المرأة: ٤٧، عن الاسلام والمرأة.

فلسفة تلك القوانين الاسلامية التي مضى على تشريعها أكثر من أربعة عشر قرناً.

وأخيراً أود أن أشير الى دعوى المساواة، فانه في البداية لابد من فهم المقصود من المساواة، أهي في الحقوق والواجبات أم هي في المشاركة الاجتماعية والسياسية أم إنها في الأمور التكوينية والتشريعية أم ماذا؟. إن كل هذه الأمور يختلف بعضها عن البعض الآخر جوهريا، ولا يمكن إطلاق الأحكام دون مراعاة الحالة الشخصية والاجتماعية والخلقية. ومما لا شك فيه أن الطفل والشيخ يختلفان في حاجتهما وفي تطلعاتهما. فالشخصية السياسية تختلف عن الشخصية العلمية اختلافا شاسعاً، بل وربما توضع أحكاماً وضعية للعسكر دون المدنيين، فهل كل هذا من التفاضل أم من الحاجة والاستيعاب. إذاً لابد من العمل بمقتضى العدالة، ولا تطلق الأحكام دون مراعاة التركيبة الشخصية، جسدياً كان أو نفسياً، مع مراعاة الحاجة والظروف والمتطلبات، وإلا فان المساواة بالقول المطلق هو جحيم لكلا الجنسين يورث الشقاء لا السعادة، ولا نظن أحداً من الجنسين يرضى بذلك، بل إن الاختلاف لا يعني التفاضل بل العكس هو الصحيح. إن وضع الشيء في موضعه يكمن في اختيار الأفضل للمكان المناسب. فلو أنك اخترت عالم اللغة ووضعته ليشغل محل

عالم الفيزياء، ووضعت العالم الفيزيائي لأن يتولى شؤون اللغة، لا يؤدي هذا التساوي في العمل مؤداه، بل إن التفضيل دون مراعاة الحقوق والواجبات، ودون مراعاة المؤهلات ستوقعنا في المأزق الحقيقي.

ومن جهة أخرى فان المطالبين بالمساواة هم يقولون بالتخصص، فكيف يمكن الجمع بين التخصص المدروس حسب المؤهلات والكفاءات الذاتية وبين التساوي في كل شيء على إطلاقه. ومع هذا نرى أن المثيرين لمسألة المساواة العشوائية، حاولوا تطبيقها عقوداً متمادية، فلم يتمكنوا من تطبيقها على أرض الواقع، فهذه أوروبا لا نجد المساواة فيها مطبقة بما يناسب الشخصيتين، إلا فيما آلت الى مزيد من المتاعب وفي الأمور الدنيئة فقط.

ورغم أن عدد النساء هو الأكثر، فلا تجد في الوظائف الأولى والثانية والثالثة وحتى الخامسة الأكثرية من الجنس الناعم. فكم دولة يتربع على كرسي الرئاسة الأولى الفاعلة إمرأة، إذ الملاحظ أن الرجال استحوذوا على تلك المقاعد، وهذا دليل على أن المسألة ليست المساواة، وإنما وأد الأنثى كان من وراء ردّ الفعل، فقد أقبرت المرأة في مهدها ولم يعط لها المجال الطبيعي في ممارسة حقها في الاجتماع والسياسة والعلم وغيرها، فأدى ذلك الى الكبت، وهذا ما لا

يرضاه الاسلام، ويجب أن توزن الأمور بموازينها الصحيحة لتطبيق العدالة.

ومن يا ترى ساوى بين الجنسين كالاسلام في الحقوق والواجبات وفي الثواب والعقاب، حيث وحّد الخطاب بينهما حينما قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] الى غيرها من الآيات والروايات التي يلاحظ فيها وحدة الخطاب دون أي تمييز.

---

(١) سورة الاحزاب، الآية: ٣٥

بعض الاحصاءات

نورد هنا بعض الاحصاءات المخيفة من النوع المتوسط[١] الناشئة عن التبرج والاختلاط وعدم ممارسة الاخلاق في الدول الغربية التي ابتعدت عن الدين والاخلاق:

١ ـ تقارير الشرطة الامريكية تشير الى ارتفاع نسبة جرائم الاغتصاب عاما بعد عام، وفي واشنطن فقط تقع جريمة إغتصاب كل ١٥ دقيقة[٢].

٢ ـ تقارير الشرطة البريطانية تشير الى أن ٢٠٩٥ حالة إعتداء مختلفة على المرأة وقعت في عام ١٣٩٠ هـ(١٩٧٠م) فقط[٣].

٣ ـ جاء في التقرير التي نشرته الصحف: أن في لندن

---

(١) اكتفينا ببعض الحالات المتوسطة لاننا نجد بنقل الحالات الشديدة أننا نخرج عن إطار الاخلاقية التي التزمنا بها.

(٢) الحجاب سعادة لا شقاء: ٦٤ عن مجلة الدستور اللبنانية، الا انه لم يؤرخها، ونظنه أنها كانت في السبعينيات الميلادية. التسعينيات الهجرية.

(٣) الحجاب سعادة لا شقاء: ٦٤ عن مجلة الدستور اللبنانية.

إرتفع عدد حالات الاجهاض من خمسين الف عام ١٣٨٩ هـ(١٩٦٩م) الى ٨٣ الف عام ١٣٩٠ هـ(١٩٧٠م) والى ما يقارب ٢٠٠ الفا عام ١٣٩١ هـ(١٩٧١م)[١].

٤ ـ وجاء في تقرير آخر وهذه المرة من باريس حيث يذكر أن نسبة الاجهاض في فرنسا تصل الى ما بين ٤٦ الى ١٤٣ حالة إجهاض لكل مائتي ولادة[٢].

٥ ـ في تقرير آخر تحدث عن روسيا حيث رصد ستة ملايين حالة اجهاض سنويا في الاتحاد السوفياتي السابق قبل تفكيكه[٣].

٦ ـ وايضا تحدثنا الاخبار عن الاتحاد السوفياتي سابقا أن٨٠٪ من جميع حالات مخالفة القانون التي يقترفها المراهقون ترجع الى تفكك الاسرة، وان حالة من كل تسع حالات تنتهي بالطلاق، وان السبب الرئيسي لهذه الظاهرة الاجتماعية هو فساد الاخلاق والادمان على شرب الخمور والمخدرات[٤].

---

(١) الحجاب سعادة لا شقاء: ٦٩ عن جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٧٢م.

(٢) الحجاب سعادة لا شقاء: ٦٩ عن جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٧٢م.

(٣) الحجاب سعادة لا شقاء: ٧٠ عن ملحق جريدة النهار اللبنانية بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٩٧٢م.

(٤) الحجاب سعادة لا شقاء: ٧٣ عن الاهرام القاهرية ٢٦/ ٤/ ١٩٦٦م، عن صحيفة برافدا السوفياتية.

٧ ـ وفي تقرير آخر من الولايات المتحدة الامريكية يذكر بأن في نيويورك جمعية تضم أعضاء من مختلف الولايات المتحدة يقدر عددهم بحوالى ١٥ مليونا هم من المنحرفون جنسيا[١].

٨ ـ وفي تقرير عام ١٩٦١م حاولت الشرطة الانكليزية القضاء على مائة الف إمرأة تعمل في البغاء والفواحش واعلنت الشرطة أخيرا عجزها عن القيام بهذه المهمة وحدها[٢].

٩ ـ وفي تقرير عن روما يذكر انه «يوجد خمسمائة بيت للبغاء، تعرض فيها الاف النساء من البغيات أنفسهن على الرجال»[٣].

١٠ ـ يقول هربرت سبنسر[٤] عن حالة المرأة في بريطانيا في القرون السالفة: «ان الزوجات كن يبعن في انكلترا فيما بين القرنين «٥م» و«١١م» وانه حدث في القرن

---

(١) الحجاب سعادة لا شقاء: ٩٣ عن النهضة الكويتية العدد ٢٣٢.
(٢) الحجاب سعادة لا شقاء: ٩٣ عن كتاب في قضايا الزواج والاسرة: ١٣٠.
(٣) قضايا الزواج والأسرة: ١٤٥.
(٤) هربرت سبنسر (Herbert Spencer)، فيلسوف وعالم اجتماع انكليزي، ولد في مدينة ديربي (Derby) في ٢٧/٤/١٨٢٠م (١٢٣٦ هـ) وتوفي في مدينة برايتون (BRIGHTON) بتاريخ ٨/١٢/١٩٠٣م (١٣٢١ هـ) يريفي تكامل الخلقة ما يراه دارون الا انه سبقه بسنوات. من آثاره: فلسفة الاجتماع، الفلسفة والأخلاق، وفلسفة علم النفس.

«١١م» أن المحاكم الكنسية سنّت قانونا ينص على ان يعير الزوج زوجته الى رجل آخر لمدة محددة حسبما يشاء الرجل المنقولة اليه المرأة، وكان النبلاء لهم الحق في الاستمتاع بنساء الفلاحين الى مدة اربعة وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها على الفلاح، وينقل أن هذه العادة رغم منعها من قبل المجلس النيابي البريطاني الا انها بقيت تمارس في بعض الارياف والقرى وتعار المرأة بثمن بخس».

١١ ـ في سنة ٩٧٤ هـ(١٥٦٧م) صدر قرار من المجلس النيابي الاسكتلندي بأن المرأة لا يجوز لها ان تمنح اي سلطة على اي شيء من الاشياء.

١٢ ـ أصدر المجلس النيابي الانكليزي قرارا في عصر الملك هنري الثامن[١] يحضر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد «الانجيل»[٢].

١٣ ـ كان فلاسفة الغرب الى قبل أكثر من قرن يتجادلون فيما بينهم حول المرأة هل لها روح ام لا؟ واذا كانت لها روح فهل هي روح انسانية ام حيوانية؟ وعلى فرض

---

(١) هنري الثامن: ملك بريطانيا ولد عام ٨٩٦هـ (١٤٩١م) وتوفي عام ٩٥٤هـ (١٥٤٧م). تولى الحكم سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م)، انتصر على الفرنسيين سنة ٩١٩هـ (١٥١٣ م)، وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥ م)، تزوج ست نساء من بينهن كاترينا الارغونية وآن بولين.

(٢) حقوق النساء في الاسلام: ٦٢ ـ ٦٣.

ان روحها انسانية فهل هي بمثابة الرقيق بالنسبة للرجل أم أرفع درجة من ذلك؟[1].

١٤ ـ كان اليونانيون ينظرون الى المرأة وكأنها مجرد رجس من عمل الشيطان وكانت عندهم من سقط المتاع[2].

١٥ ـ كان الرومان يعدون المرأة أداة إغواء يستخدمها الشيطان لافساد القلوب. ووصلت بحوثهم في المجمع العلمي الذي عقدوه الى النتيجة التالية: «ان المرأة كائن لا نفس له وانها من أجل ذلك لن ترث الحياة الاخروية فإنها رجس»[3].

١٦ ـ كان البراهمة[4] يرون ان المرأة تعتبر حطاما تحرق وهي حية على قبر زوجها وكانت هذه الشريعة تطبق عليها حتى سنة ١٢٤٨هـ (١٨٢٩م) فصدرت الاوامر من الحكومة المحلية بالغاء هذا الحكم بعد وفاة أمير ولاية مارتا[5] حيث مات وله ١٧ زوجة، وتوفي آخر وله ١٣ زوجة، وبعد موتهما، أجرى على الزوجات الثلاثين حكم

---

(١) مسؤولية المرأة: ١٥.
(٢) مسؤولية المرأة: ١٥.
(٣) مسؤولية المرأة: ١٦.
(٤) البراهمة: اسمى الطوائف عند الهندوس حيث يجمعون على نبالة وسمو نسلها، ويزعم البعض ان اصلهم الهي ولذا احتلوا المركز الاول في النظام الطبقي.
(٥) مارتا: ولاية هندية قبل تقسيم الهند الى الولايات الحديثة المعروفة.

الحرق، ما عدا واحدة حيث كانت حاملا، فأجّل حرقها لحين الولادة[1].

١٧ ـ كان الفرس ينظرون الى المرأة بحقارة وكانت حياتها تتعلق بإرادة الرجل فاذا ما أراد، يحق له إعدامها أو سجنها مدى الحياة[2].

١٨ ـ وجاء في بعض المصادر أن الصبية في أميركا في القرن الماضي أصبحن يراهقن قبل الأوان وفي السن الباكر جداً فيشتد فيهم الشعور الجنسي ولم يأت هذا عن فراغ فقد بحث أحد قضاة أمريكا عن أحوال ٣١٢ صبية منهن كن قد أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهنّ، ولوحظ فيهنّ إمارات الشهوة الجنسية المطالب الجسدية ما لا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فما فوق[3].

١٩ ـ ويذكر أحد الاختصاصيين البريطانيين عمل دراسة في هذا الاتجاه وذكر بأنه ليس من الغريب الشاذ حتى في

---

(١) مسؤولية المرأة: ١٦.
(٢) مسؤولية المرأة: ١٧.
(٣) المرأة والحجاب: ١٢ عن الحجاب للمودودي عن كتاب تمرد النشء الجديد للقاضي الأميركي ابن لندسي.

الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثماني سنين منهن يخادنّ لداتهن من الصبية وربما تلوثن معهم بالفاحشة[١].

٢٠ ـ وقد ذكرت بعض التقارير بأن بعض المحاكم ناقشت أكثر من ألف قضية خلال سنة واحدة ولشدة هول ارتكاب الفاحشة مع صبايا دون الثانية عشرة من العمر[٢].

الى غيرها، وقد تزايدت الاحصاءات في بداية القرن الحادي والعشرين بشكل مخيف رغم محاولات الجهات المعنية الى الحد من ذلك، ولكنها لا تعالج المسائل من جذورها مع الأسف.

---

(١) المرأة والحجاب: ١٢ عن الحجاب للمودودي عن كتاب القوانين الجنسية للدكتور هوك روبرت ويسرد هناك بعض العيّنات التي وقعت في بلاده.

(٢) المرأة والحجاب: ١٣ عن الحجاب للمودودي وفيه أنها محاكم مدينة بالتي غور.

الفهرس